هل رجعت
إلى
الله الحي الحقيقي ؟!

2

نخبة من
خدام الانجيل

هل رجعت
إلى
الله الحي الحقيقي ؟!

تقـــديم
نخبة من خـدام الانجيـل

مقدمــة

ينشأ كل واحد منا فى بيئة مختلفة ، ويجد كل واحد لزاماً عليه ان يسير فى هذا الاتجاه الدينى الذى نشأ فيه . وربما يدور فى فكر كل واحد سؤالا يحيره اذ يرى من حوله تعددا هائلا من عبادات مختلفة فى جميع الطوائف . هذا السؤال هو : **هل عبادتى لله هى العبادة الصحيحة ؟ وإن لم تكن كذلك ، فأين هى العبادة الصحيحة من هذه العبادات المختلفة ، التى فيها يظن كل واحد أنه هو وحده يقتنى الحق دون سواه .**

اننا نقول لجمهور المسيحية فى جميع الطوائف ان الذى اقتنى الحق هو الشخص الذى رجع الى الله الحىّ الحقيقى **رجوعا صحيحاً** . إن كثيرين من بين هؤلاء التابعين للمسيح الآن يمارسون عبادة لله لكنها ليست بحسب ارادته . اننا جميعا بحاجة شديدة أن نعرف **ماذا ينبغى أن نفعل** لكى ما يكون موقفنا صحيحا أمام الله .

ان الله المحب للانسان الذى أظهر محبته له ودبر له خلاصا بموت المسيح على الصليب للفداء ، كما تعامل مع كرنيليوس اذ أرسل له بطرس الرسول ليعرفه ماذا ينبغى أن يفعل لتكون عبادته صحيحة ، يستطيع أن يتعامل معك الآن من خلال هذا الكتاب فيكون مرشدا وموضحا لك الطريق الذى تسلكه ، والإله الذى تتعبد له .

لقد كان كرنيليوس رجل تقى ، خائف الله ، يصنع حسنات كثيرة ، ويصلى الى الله فى كل حين . فأرسل الله له قائلا : «صلواتك وصدقاتك صعدت تذكارا أمام الله . والآن أرسل الى يافا رجالا واستدع سمعان الملقب بطرس ... هو يقول لك ماذا ينبغى أن تفعل » (أعمال الرسل ١٠ : ٤ — ٦) .

ان هذه العبارة الأخيرة توضح لنا أن ما كان يفعله كرنيليوس من صلوات وصدقات وأعمال ، لم تكن هى الأمور التى تجعله مقبولا أمام الله ، ولكنها كانت فقط مُذَكِّرة له أمامه تعالى . لقد كان كرنيليوس رجل مخلص يريد ارضاء الله من كل قلبه وهو لذلك يحاول جاهدا أن يُقَوِّم طريقه ، وقد وضح الله له هذا الطريق مُتمّماً وعده القائل « المُقَوِّم طريقه أُريه خلاص الله » (مزمور ٥٠ :: ٢٣) .

إن هذا الكتاب يساعدك أيها القارىء العزيز على فهم ماهو الرجوع الصحيح إلى الله الحى الحقيقى ، كما يوضح لك كيفية هذا الرجوع الذى يحدد مصيرك الأبدى .

الباب الأول

مسئوليتـــك

ربما وقفت يوما يا عزيزى القارىء أمام المرآة وقتاً محاولا أن تخفى . عيباً ما فيك ، لتظهر فى صورة أمام الناس كشخص كامل بلا عيوب .. وربما وقفت يوما موقف المدافع لتبرير تصرفا خاطئا تصرفته ولا تريد الاعتراف بخطئك .. وربما كنت المسئول عن خطأ ما فى موقف لا تحسد عليه أبداً ، ولكنك خوفا على صورتك أمام الناس رحت تخلى مسئوليتك أو تلقى اللوم على آخرين أقل فعلا فى هذا الخطأ .. وبينك وبين ضميرك تعطى العذر لنفسك فانت أيضا خالى المسئولية وقد شُبّهت لى يا صديقى بشخص أقص لك قصته .

جاء هذا الشخص ليكلم الواعظ بعد خدمته ، وكان موضوع الخدمة عن آدم فقال للواعظ « ما ذنبى ان أحسب خاطئا بسقوط آدم وعصيانه ، ذاك الشخـــص الذى اعتبره مسئـولا عن شقاء البشرية ؟ . أجاب الواعظ وأنت الآن مسئولُ أيضا ، لتطلب غفران الله لك . فأجابه : «تعودت ألا أعتذر عن أخطاء الآخرين ، هو ليس خطأى . اعتقد أنى ليس من السهل علىّ أن اخطىء خطية كخطية آدم هذه ..» فأنهى الخادم المناقشة بعد أن قدم كل الاقناع لذلك الذى لم يقبل الاقتناع .

ومرت الأيام لتصنع أسابيع بعدها دعا الواعظ ذلك الشخص للعشاء

ليستكمل معه حديثه . وذهب الضيف فى الميعاد ، وما أن استقبلته زوجة الخادم ورحبت به حتى دق جرس الهاتف وكان المتحدث هو صاحب البيت يعتذر عن تأخيره بعض الوقت وطلب أن يكلم ضيفه وقال له :«ان البيت بيتك تفضل كُلْ من كل ما عندك على هذه المائدة الشهية فزوجتى طاهية ماهرة » وطلب الواعظ من ضيفه طلباً واحداً أن يُبقى على اناء واحد مغطى على المائدة قال انه سيفتحه بمجرد أن يأتى ، وَذكّرَهُ مرة أخرى أنه من حقه الأكل من كل أنواع الطعام جميعا ماعدا هذا الاناء المغطى .

وأقبل الضيف الى المائدة وهو فى تفكير عميق وعينين مثبتتين على هذا الاناء المجهول : وأخذت تلح عليه فكرة معرفة ما فيه وسبب تشديد الواعظ عليه عدم فتحه .. أخيراً قرر ترك كل ما فى المائدة واكتشاف سر هذا الاناء .. فانتهز فرصة ابتعاد زوجة الواعظ وتسلل الى الاناء وكشف الغطاء ويا للمفاجأة ، فقد طار العصفور الذى كان حبيسا فى هذا الاناء . أُحْرِجَ الضيف جداً ولكنه فهم قصد الواعظ الذى كان قد وصل الى غرفة الطعام وهو يبتسم قائلا :« أعتقد أننا لا نحتاج الآن الى المناقشة » . فأومأ الرجل برأسه قائلا : «نعم فأنا خاطىء أيضاً » .

ان هذا الميل الكامن فى الانسان وهو تبرير النفس والقاء اللوم على الآخرين تتجلى خطورته عندما يظهر فى علاقة الانسان بالله . فمنذ البدء قال آدم لله عندما سأله عن سبب اختبائه منه « المرأة التى جعلتَها معى هى اعطتنى من الشجرة فأكلت » (تكوين ٣ : ١٢) مبرراً نفسه

وملقياً المسئولية على غيره . وهكذا أيضا فعلت حواء عندما قال لها الرب « ما هذا الذى فعلتِ ؟» فكان ردها « الحية غرتنى فأكلت » (تكوين ٣ : ١٣) .

وبينما يقول لنا الله فى الكتاب المقدس ان « شر الانسان قد كثر فى الأرض. وان تصور أفكار قلبه انما هو شرير **كل يوم** » (تكوين ٦ : ٥) ويقول أيضا « ان **الجميع** زاغوا وفسدوا معا ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد » (روميه ٣ : ١٣) ، يقول الانسان لله « أأخطأت ؟ » ... « كامل أنا » ... « لا تستذنبنى ، فَهِّمنى لماذا تخاصمنى.؟» ... « فى علمك أنى لست مذنباً » (أيوب ٧ : ٢١ ، ٩ : ٢١ ، ١٠ : ٣ ، ١٠ : ٧) .

من هذا ندرك أيها القارىء العزيز أن حاجة الانسان الملحة هى أن **يعترف بأنه خاطىء** كما وصفه الله المنزه عن الكذب ، وأنه مسئول أمام الله بصفة شخصية عن خطاياه .

مسئولية نسـل ادم

يعلن لنا الكتاب المقدس ان كل منا يتكون على صورة والده روحاً ونفساً وجسداً ، حسب قانون الوراثة الذى وضعه الله لعالم الأحياء (تكوين ٨ : ٢٢ ، ١ : ١١ ، ١ : ٢٧ ــ ٢٨) . وبما أن آدم الذى ولد منه البشر جميعا كان قد فقد بعصيانه حياة الاستقامة التى خلقه الله

عليها وأصبح خاطئاً قبل أن ينجب نسلاً ، يصبح من البديهى أن يولد أبناؤه جميعا خطاة بطبيعتهم نظيره وارثين لسقوطه طبقا لقانون الوراثة .

نعم يا صديقى ، لقد ورثنا جميعا من أبينا آدم طبيعته الساقطة ، لان لا بديل أو تحويل عن سُنة الله ، فمكتوب « بانسان واحد (أى آدم) دخلت الخطيئة الى العالم » (روميه ٥ : ١٢) ، ووصلت الى نسله بالوراثة كما قال داوود النبى « هنذا بالاثم صورت وبالخطية حبلت بى أمى » (مزمور ٥١ : ٥) . وهكذا صار النسل كالأصل وصارت الخطيئة الأصلية ساكنة بالوراثة فى الطبيعة البشرية فى كل انسان ، لذلك قال الرسول « الخطيئة الساكنة فىّ » (روميه ٧ : ١٧) وهى فى كل انسان أصل لكل خطاياه الفعلية كما قيل « الخطيئة .. انشأت فىّ كل شهوة » (روميه ٧ : ٨) .

وقد ادرك يا صديقى كثير من الفلاسفة هذه الحقيقة فقال أرسطو « ان أكثر أعمال الانسان محكومة بالعواطف والشهوات ، لذلك فانه يقع فى الخطأ مهما علم العقل بضرره . فالانسان يفكر جيدا ويرشده فكره الى الصواب ، لكن تتغلب عليه شهوته (الكامنة فيه) فتغويه » . وقال سانت هيلير « ليس ما يقع فيه الانسان من اثم ناشئاً عن خطأ فى الموازنة بين اللذة الحاضرة والآلام المستقبلة ، ولا ناشئاً عن جهل بطبيعة الأشياء . انما منشؤه فساد فى الخلق يدفع الانسان الى تفضيل الشر على الخير ، وهو عالم بهما وبنتائج كل منهما . فان الشرير لا يجهل البتة ما يفعله من سوء

بل يشعر به وبما يلحقه من خسران بسببه ، ومع ذلك يسعى الى هذا الخسران وهو آسف » .

وعليه ، أصبح هذا الفساد الأدبي الموروث والكائن فى طبيعة الانسان هو ما يتصف به فى صميم كيانه الروحـي . ومن ثم يُسمى الانسان « خاطئا » (لوقا ١٨ : ١٣) لا لمجرد ارتكابه الخطايا ، بل لان طبيعته نفسها خاطئة ولو لم يرتكب خطأً واحداً .

ذلك وان كنا غير مسئولين عن وجود تلك الطبيعة الساقطة فينا ، الا اننا نعتبر مسئولين عن خطايانا الشخصية التى نوافق عليها تماما . فنحن نفعل اخطاءنا الشخصية ليس رغماً عنا بل بإرادتنا ، وهى نتيجة لموافقتنا الشخصية على تلبية رغبات الجسد والغرائز ، فنفعل بإرادتنا ما تدينه ضمائرنا وذلك لاننا نحب ذلك . لهذا السبب يقول الكتاب أن « .. كل واحد منا سيعطى عن نفسه حساباً لله » (روميه ١٤ : ١٢) .

كان الانسان الأول حـرا فى الجنة ولم يكن شيء ليمنع طاعته لله ، لذلك كان عليه كمسئول امامه ان يثبت فى الطاعة ، كان عليه ان يستمر خاضعاً لله فى سعادة وبساطة ولا يحرر نفسه منه تعالى . لكن آدم كما نعرف جميعا ، استخدم حريته فى الاختيار واختار أن يحرر نفسه من الله ، وبذلك أصبح عبداً للخطيئة يميل تجاه الشر . أما بالنسبة لنسله فالأمر يختلف لان الشهوة والارادة الذاتية موجودتان ، لذلك أصبح الانسان أسير لقانون خطيئة يعمل فى أعضاءه . وبعد سقوطه أيضا يقدم الله له الاختيار ، ولكنه تعالى يقدمه له ليس كاختبار لطاعته ، بل لاقناع ضميره

بانه خاطىء لا يريد الخير ولا الخضوع للرب ، وليكشف له ان ارادته الذاتيه وشهواته هما الذين يقودانه .

والآن يا عزيزى ، ما هى مسئوليتى ومسئوليتك كخطاة مولودين بطبيعة ساقطة ؟ اننا الآن كنسل آدم نقف أمام الله على أساس مسئولية مختلفة عن تلك التى كانت لآدم أمام الله . أساس جديد لعلاقة مختلفة تؤسس عليها المسئولية . فنحن لسنا فى حالة عدم السقوط (البراءة) التى كانت لآدم فى الجنة ، ولكننا كما رأينا ، مولودين بطبيعة خاطئة . **لذلك فمسئوليتنا هى ان نقتنع أولا بسقوطنا وبحالتنا الخاطئة ، ثم نقبل ما أعده الله من خلاص أعده لهذه الحالة الساقطة .**

لقد قصد الله أن يعطينا فى الكتاب المقدس تاريخ الانسان فى المسئولية ، ذلك التاريخ الذى يسرد أمامنا ويبرز لنا فشله كلما وُضع فى المسئولية ، وذلك ليقنع الله الانسان بسقوطه وبحالته كخاطىء ، وأيضا ليُظهر لنا عجائب من حكمته تعالى ونعمته . ان تاريخ هذه المسئولية يكشف لنا من جانب الانسان انطلاقه فى طريق ارادته الذاتية ورفضه الاعتراف بحالته كخاطىء ، وبالتالى رفضه قبول ما دبره الله لخلاصه من هذه الحالة ، أما من جانب الله فهو تاريخ يكشف لنا عن قلبه المحب الذى يتأنى معطيا أولئك الخطاة الوسيلة التى بواسطتها يستطيعون امتلاك ذلك الخلاص . **وبفحصنا لهذا التاريخ يتضح لنا أنه فى كل مراحله يشير الى قصد الله فى الوصول بقلب وضمير الانسان الى الاعتراف بحقيقة**

حالته كخاطىء وادراك هلاكه ، وذلك لكى ما يطلب الخلاص ويثق فى الله الذى يستطيع وحده أن يعطيه إياه .

ان الله فى محبته ونعمته لم يترك الانسان لضياعه وهلاكه ، ولكنه دبر خلاصا كانت كُلفته عظيمة للغاية ، وحدد له الطريقة التى يمكنه بها أن يقترب إليه ، غير خائف من دينونة بل واثق فى قبوله ، فأصبح نسل آدم الساقط مسئول مسئولية كاملة إزاء قبول هذه الطريقة ، وقد قصّ آدم لابناءه قاين وهابيل ، باكورة نسله ، الطريقة التى بها ستر الله عريه وإمرأته عندما صنع لهما تعالى أقمصة جلدية ناتجة عن ذبح حيوانين بريئين ، والبسهما (تكوين ٣ : ٢٠) . وهكذا نقل آدم لابناءه ذلك المبدأ الذى أرساه الله وهو أنه « بدون سفك دم لا تحصل مغفرة » (عبرانيين ٩ :٢٢) .

صدّق هابيل شهادة أبوه فقدم لله ذبيحة دمويه « من أبكار غنمه وسمانها . فنظر الرب الى هابيل وقربانه » (تكوين ٤ : ٤) . أما قايين أخوه فقد أخفق فى طريقة اقترابه من الله لانه قدم « من أثمار الأرض قربانا للرب » ، قربان غير دموى وهو قربان مختلف عن ذلك الذى طلبه الله وقدمه أخوه . فلم ينظر الله الى قربانه لأن ذلك القربان لم يكن كاملا فى نظر الله مهما كانت قيمته فى نظر قايين . لقد كان قايين خاطئا فاستحق الموت ، إلا أنه بقربانه لم يعترف بذلك ولا قدم قربانا فيه سفك دم لتكتفى به مطالبين عدل وقداسة الله . لذلك أخفق قايين فى ارضاء الله .

يشير الله الى مسئولية قايين أمامه كخاطىء ويدعوه بالنعمة للرجوع بعد فشله فى اختيار وتقديم القربان المعيّن له كخاطىء ، فنقرأ قول الرب له « ان احسنت أفلا رفع ؟ » (تكوين ٤ : ٧) ، أى ان احسنت تقديم القربان المطلوب أفما كنت أرفع وجهك مثلما رفعت وجه أخيك هابيل ؟ أفما كنت أقبلك ؟ وبهذا يخاطب الله قايين على أساس مسئوليته الشخصية أمامه . ثم يوجه الرب نظره الى العلاج لحالته كخاطىء فيقول له « ان لم تحسن فعند الباب خطية رابضة » وهذا يعنى ان كنت قد أخفقت فى الماضى يوجد بالقرب منك جدا ذبيحة خطية تستطيع أن تقدمها الآن فاقبل قربانك .

بهذا أيها القارىء العزيز ، يتحدد لنا بوضوح مركز الانسان الخاطىء من الله والمسئولية المترتبة على العلاقة بينهما . نعم يا صديقى ، لقد دبر الله لنا مخرجاً وملاذاً نهرب به من الغضب المعلن من السماء على جميع فجورنا وإثمنا ، فلم تكن الذبيحة التى قدمها هابيل وقبلها الله الا رمزا لذبيحة أعظم كانت فى فكر الله وقصده من الأزل ، وما هذه الذبيحة العظيمة الا « ذبيحة المسيح »(١) . ان الكتاب يؤكد أنه ينبغى لنا قبول مخلص يدعى « يسوع المسيح » وهو وحده الذى يستطيع أن يخلص شعبه من خطاياهم (أعمال الرسل ٤ : ١٢) ، وذلك لانه مثل الذبيحة الحيوانية البريئة التى قدمها هابيل ، حمل دينونة تلك الخطايا بموته على الصليب وهو القدوس الخالى من الخطية . وقد صبّ الله عليه الغضب الذى استحقه أنا وأنت من جراء عصياننا وإثمنا ، وذاق الموت عنى

وعنك ، الموت الذى حكم الله به على آدم يوم أخطأ (تكوين ٢ : ١٧) ، الموت الذى كان من نصيبى ونصيبك وذلك كى يفدينا ويكفر عنا (أفسس ١ : ٧ ، يوحنا الأولى ٢ : ٢) ، فبموت المسيح على الصليب ، عمل الله كل ما يلزم ليمنع دينونة الانسان ، وبهذا الصليب يعترض الله الآن طريق كل انسان سائر الى جهنم ، مقدما له **خلاصاً مجانياً بالنعمة** . فالشخص الذى رفض تدبير الله لخلاصه ومضى فى طريقه غير عابىء بهذا الصليب ، يتحمل وحده مسئولية دينونته .

ان الأساس الذى تعامل به الله مع قايين وهابيل لم يتغير من حيث المبدأ ، وهو باق الى يومنا هذا مُمثلا فى ذبيحة المسيح . فالمثال الكامل « للذبيحة الأفضل » (عبرانيين ٤ : ٤) يظل بالنسبة للانسان الخاطىء هو الطريق الوحيد للاقتراب من الله ، بينما يظل الله معبراً عن دينونته للانسان الذى « ذهب فى طريق قايين » (يهوذا ١١) حتى فى وسط العالم المسيحى .

مسئوليتك الشخصية

يا عزيزى القارىء ، لقد صنع الله لك خلاصا مقداره عظيم للغايه ، لذلك يجب ان تنتبه الى ما سمعت لئلا تفوتك الفرصة (عبرانيين ٢ : ١ ـــ ٣) . **انت مسئول عن رجوعك الى الله الحى الحقيقى ، مقتنعا بأنك خاطىء تحتاج الى خلاصه . وذلك يتطلب توبتك اليه**

وايمانك بمراحمه المقدمة لك مجانا كنسل آدم الساقط ، على أساس ذبيحة المسيح لامتلاكها بالإيمان . وان أهملت ، فعدم توبتك وايمانك الحقيقيين ، يحرمانك من مراحم الله ، وبذلك يمكث عليك غضبه الى الأبد مهما قمت بتقدمات من فرائض وطقوس وتقشفات وأصوام ... الخ فمكتوب « ان لم تتوبوا فجميعكم ... تهلكون » (لوقا ١٣ : ٣ و ٥) وأيضاً « الذى لا يؤمن بالابن (إيمان حقيقى أساسه ذبيحة المسيح وحدها) لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله » (يوحنا ٣ : ٣٦) .

"..بإنسان واحدٍ دخلت الخطية إلى العالم وبالخطية الموت وهكذا إجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع"

.(عبرانيين ٥ : ١٢).

البـاب الثـانى

الرجــوع الحقيقــى

إن الرجوع الحقيقى هو من البساطة حتى إن أصغر ولد يستطيع أن يرجع إلى الله ، ولكنه أيضا من العمق حتى إن علماء اللاهوت أنفسهم على مرّ التاريخ ، لم يستطيعوا الوصول إلى عمق معناه .

إن الله جعل طريق الخلاص من السهولة حتى أن « من سلك فى الطريق حتى الجهال لا يضل » (اشعياء ٣٥:٨) ، فلن يخيب أحد من دخول ملكوت الله لأنه لم تكن له قدرة على الفهم . فالغنى والفقير ، الفيلسوف والبسيط ، الجميع يستطيعون الرجوع .

ما هو الرجوع الحقيقى إلى الله ؟

إن لذلك الموضوع أهمية قصوى . فلا يوجد موضوع على وجه الأرض كلها أخطر منه . نعم إنه موضوع جدّ خطير لأنه يتعلق بأغلى وأثمن شيء لدى الإنسان ، ألا وهو خلاص نفسه ، لذلك نرجو أن نوضح ما هو الرجوع الحقيقى إلى الله فى كلمات قليلة وببساطة شديدة ، متضرعين إلى الله أن يفتح الأذهان لفهمه .

إن « الرجوع » فى الكتاب المقدس يعنى ببساطة « تحوّلا » أو « تغيير إتجاه » وذلك بالنسبة إلى الله . إنها كلمة تستعمل كثيرا فى العهد القديم إما للدلالة على رجوع الإنسان **عن الله** أو رجوعه **إلى الله** .

إن رجوع الإنسان عن الله يعتبر خيانة وتمرداً عليه تعالى فمكتوب « ما هذه **الخيانة** التى خنتم بها إله اسرائيل بالرجوع اليوم عن الرب ببنيانكم لأنفسكم مذبحا **لتتمردوا** اليوم على الرب » (يشوع ٢٢:١٦) . علاوة على الخيانة والتمرد يعتبر الرجوع عن الله أيضا ارتدادا عنه وعصيانا عليه تعالى فمكتوب « لماذا **ارتد** هذا الشعب .. أبوا أن يرجعوا .. » (ارميا ٨:٤ — ٦) وأيضاً «ارجعوا أيها البنون **العصاة** » .

أما بالنسبة لرجوع الإنسان إلى الله ، وهو موضوع كتابنا هذا ، فهو ما يأمر به الله الإنسان ويحرضه عليه بالاستمرار وذلك لنوال رضاه وامتلاك بركته تعالى . فمكتوب « .. ارجعوا إلى الرب إلهكم لأنه رؤوف رحيم بطىء الغضب وكثير الرأفة .. » (يؤئيل ٢:١٣) ، وأيضاً « أرجعوا إلىّ ارجع اليكم قال رب الجنود » (ملاخى ٣:٧)

إن رجوع الإنسان إلى الله هو بعمل نعمته ولو أنه باختيار الإنسان وخضوعه الشخصى ، فمكتوب « ارجعنا يا إله خلاصنا وانف غضبك عنا » (مز ٨٥:٣ — ٤) ، وأيضاً « ارددنا يا رب إليك فنرتد » (مراثى ارميا ٥:٢١) . وقد استخدمت كلمة « الرجوع » فى العهد الجديد ايضا للدلالة على رجوع الإنسان إلى الله . فعندما شفى بطرس اينياس يقول الكتاب « رآه جميع .. الذين رجعوا إلى الرب » (أع ٩:٣٥) ويقول يعقوب « لذلك أنا أرى أن لا يثقل على الراجعين الى الله من الأمم » (اع ١٥:١٩) . وقد تصطحب كلمة « الرجوع » بعض الاصطلاحات التى تشير إلى طبيعة هذا الرجوع . إنه رجوع « من

ظلمات إلى نور » (اع ١٨:٢٦) ، « من الأوثان إلى الله الحىّ » (تسالونيكى الأولى ٩:١) ، « من الأباطيل إلى الاله الحىّ » (اعمال الرسل ١٤:١٥) .

إن الرجوع إلى الله الحىّ إذن هو الخطوة الايجابية التى ينتظرها الله من الإنسان ، وبها ينفتح الطريق إلى كُل بركة يكتنزها الله له . إننا جميعاً مطالبون أن نتخذ تلك الخطوة المباركة نحو الله. لأنه مكتوب « إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملكوت السموات » (متى ٣:١٨) . ولا يقدر أحد أن يقول إنه فى غنى عن الرجوع إلى الله لأننا جميعاً تمردنا وعصينا وتعدينا عليه تعالى . إن كل الذين لم يرجعوا بعد إلى الله ، هم خارج دائرة ذلك الملكوت بصرف النظر عَمّن أنا أو ما أنا . فما دمت لم أرجع إلى الله فأنا فى « ملكوت الظلمة » تحت سلطان إبليس ، فى خطاياى وطريقى يسوقنى إلى جهنم النار الأبدية .

قد يمكن أن أكون شخصا من جهة السلوك بلا لوم ، مشهورا بالتقوى ومعروفا بالتديّن ، بل وشاغلا أعظم مركز فى الكنيسة وربما كنت أيضا مرسوما قسيسا أو من المعتبرين أنهم أعمدة فى وسط الجماعة ، ومع ذلك أكون بعيدا عن الله لم أرجع إليه بعد ، سائرا فى ذلك الطريق الواسع الرحب الذى يؤدى إلى الهلاك الأبدى .

« إن لم ترجعوا .. فلن تدخلوا بملكوت السموات » هذا القول يصدق على السكير الذى يترنح فى الشوارع ، كما يصدق على ذلك

الإنسان المهذب الذى لا يذوق الخمر ويفتخر باعتداله مع أنه لم يرجع إلى الله . فكلاهما على السواء بعيدان عن ملكوت الله .

نعم إن السكير شره ظاهر للعيان ، وواضح أن السكيرين لا يرثون ملكوت الله (١كو ٦ :١٠) ولكن المعتدل الذى يتكل على آدابه لا يفرق عنه شيئا ، فكلاهما خارج دائرة الملكوت .

إن الموضوع جدّ خطير أيها القارىء العزيز ، وعليك أن تسأل نفسك « هل أنا رجعت إلى الله ؟ » — نرجوك ألا تهرب من هذا السؤال بل تواجهه بضمير صالح . هل رجعت إلى الله ؟ فإن اكتشفت أنك لا تبالى بهذا الأمر ولا تكترث به ولا أهمية له فى نظرك ، فاعرف أنك ترتكب خطأ جسيما سيكلفك ليس فقدان حياتك الأرضية فحسب بل والأهم فقدان حياتك الأبدية .

لعلك الآن يا صديقى تتساءل : ما هو هذا الرجوع الذى نتكلم عنه ؟ ولاتخفى عليك أن عدو النفوس يبذل قصارى جهده للتشويش على أذهان الناس بصدد هذا الموضوع لما له من أهمية قصوى . وإذا كان لا يستطيع أن يعمى أذهانهم عن حقيقة لزوم الرجوع إلى الله ، فإنه يجتهد أن يعمى الأذهان من جهة ماهية ذلك الرجوع . فاذا انتبهت مثلا إلى بطلان الملاهى العالمية وزوال الملذات الأرضية واقتنعت بضرورة الإقلاع عن تلك الحياة ، فإن ذلك المضل الماهر يسعى أن يقنعك بضرورة « التديّن » ويفهمك أن ذلك يكون بممارسة فرائض وطقوس العبادة وترك المقامرة والسكر والخلاعة .. وبالاختصار سيجعلك تنبذ كل لذة

ارضية وتتمسك « بحياة التديُّن » . ولكن تحذر يا صديقى ، ليس هذا هو الرجوع الحقيقى . فقد يمكن للإنسان أن يمارس كل الفروض المطلوبة ولا يكون قد رجع إلى الله بالحقيقة . قد تكون إنساناً متديناً بكل معنى الكلمة فتصوم وتصلى وتتصدق وتتخشع وتتنسك ، ومع كل ذلك تظل بعيداً عن الله تماما كالمقامر والسكّير والزانى . صحيح أنه شتان بين صفاتك وصفات هؤلاء . ولكنك مثلهم تماما ، لم ترجع إلى الله ، كما أنك بعد فى خطاياك . أنت تتمسك بـ « الأعمال الميّتة »[1] وهم منغمسون فى « الأعمال الشريرة » .

والآنَ يا عزيزى أيًا كنت ومهما كان معتقدك ، نتوسل إليك أن توجه التفاتك إلى هذه الأمور ، ولا يهدأ بالك لحظة واحدة حتى تتحقق من رجوعك إلى الله رجوعا صحيحا لاشك فيه ، وليس مثل كثيرون من الذين ادعوا أنهم رجعوا إلى الله ولم يتعمق عمله فى قلوبهم ولا وصل تأثير الحق إلى ضمائرهم ، ولم يطرأ على علاقتهم مع العالم أى تغيير . إن كل ما فى الأمر أن حاسياتهم قد تنبهت نوعا ببعض المؤثرات البشرية ، ولكن الذات لم تُنكَرْ وتعلقهم بالأرض لم ينفك ، لذلك لم يظهر عليهم ذلك الأثر الملازم للرجوع الصحيح .

(١) الأعمال الميتة (عبرانيين ٦:١ ، ٩:١٤) . إنها تبدو فى مظهرها أنها أعمال صالحة يفعلها الشخص غير المؤمن بالحقيقة ليرضى بها ضميره ولكن الله لا يقبلها لأنها ناتجة عن الجهد البشرى تماما كما فعل قايين عندما قدم لله قربانا من نتاج عمله وعرقه وهو مالم يطلبه الله ، فلم يجد القبول لديه تعالى لأنه كان يطلب ذبيحة كفارية وليس عملا بشريا .

إن الرجوع الحقيقى إلى الله هو أكثر من تغيير فكر وأكثر من الاجتياز فى اختبار . إنه تغيير ملموس إلى طريقة حياة جديدة ، كما توحى الينا كلمة « يرجع » ، فهو رجوع على الأعقاب والسير فى اتجاه جديد . هذا التغيير لا يتم بأعمال ظاهرية خارجية فقط ، لأن الرب يسوع استنكر مثل هذا فى تعليم الفريسيين (مرقس ٦:٧ــ٢٣) ، ولكنه يتم أيضا بتغيير داخلى تصحبه **توبة وايمان وتحول روحى واضح** .

ثلاث خطوات :

يتكلم الكتاب المقدس عن ثلاث خطوات للرجوع الحقيقى إلى الله . اثنتين يقوم بهما الإنسان وواحدة يقوم بها الله نفسه . إن التوبة والايمان هما الخطوتان الايجابيتان المبنية عليهما مسئوليتنا . فالتوبة[١] هى الرجوع من حيث نقطة البداية أى **الرجوع عن الحياة السابقة** ، أما الإيمان[٢] فهو النقطة الموضوعية **أى الرجوع إلى الله الحىّ الحقيقى** .

نأتى إلى الخطوة الثالثة وهى خطوة لا دور للإنسان فيها لأن الله هو الذى يقوم بها : إنها الولادة من فوق (يوحنا ٣:٧) وهى التى يسميها الكتاب المقدس الولادة الثانية (بطرس الأولى ١:٢٣) .

(١) انظر صفحة ٤٦ تحت عنوان « فى طريق العودة » .
(٢) انظر صفحة ٥٤ تحت عنوان « الايمان الحقيقى » .

ثلاث عوامل مجتمعة :

توجد أيضا ثلاث عوامل ينبغى أن تجتمع حتى يكون الرجوع كاملا . ينبغى أن يقتنع عقلى تماما بأن المسيح قد مات من أجل خطاياى ، وينبغى لعاطفتى أن تتأثر بهذه الحقيقة ثم ينبغى أن تنحنى ارادتى فتسلم بالتمام لذلك الشخص الذى أحبنى ووضع نفسه لأجلى .

يوجد كمّ هائل من الناس قد رجعوا إلى المسيح ولكن ذلك بالعقل فقط . إنهم يصدقون الإنجيل ويوافقون على كل ما جاء عن يسوع المسيح ، ولكنهم رغم ذلك لم يرجعوا بالحقيقة إليه . ففى الانجيل بحسب يوحنا والأصحاح الثانى آمن كثيرون باسم المسيح اذ رأوا الآيات التى صنع . لكن يسوع لم يأتمنهم على نفسه لأنه كان يعرف الجميع . لماذا لم يأتمنهم على نفسه ؟ لأنه لم يكن فى احتياج أن يشهد أحد عن الإنسان لأنه علم ما كان فى الإنسان (يوحنا ٢:٢٣ — ٢٥) . لقد علم أنهم اقتنعوا بعقولهم فقط دون أن تتأثر قلوبهم وتخضع إرادتهم .

يوجد أيضا آلاف من الناس جازوا فى اختبار عاطفى يعتبرونه رجوعاً ، ولكنه بعيد عنه كل البعد . إن المسيح يطلب تغييرا فى طريقة حياتك ، وان لم تتغير حياتك وفقاً لاختبارك فالآخرون لهم كل الحق فى أن يشكوا فى صحة ذلك الاختبار . فعندما تأتى إلى المسيح ستختبر عواطفك قطعا تبعا لذلك تغييرا جوهريا وجذريا . إنك ستشرع فى كره الخطيئة ومحبة البر . ولن يمكنك أبدا وصف محبتك للرب كما أن إخلاصك وتفانيك له لن يعرفا أية حدود .

كم من الناس رغم اقتناعهم العقلى واختبارهم العاطفى مازالوا بعيدين كل البعد عن الرجوع الحقيقى ، وذلك لأن إرادتهم لم تخضع بعد للرب . فينبغى أن تنحنى إرادتك أمام إرادة الله منكرا ذاتك بالتمام ، عاقداً العزم على إطاعة المسيح واتباعه فتكون بذلك رغبتك الوحيدة هى إرضاؤه .

الضمـير :

عندما يبدأ روح الله العمل فى الإنسان لإرجاعه ، فهو يبدأ من حيث تركه الإنسان أى من الضمير . لقد اختبأ آدم عندما عصى الله وابتعد عنه ، وكان ذلك خوفا من ضميره ، لذلك تتوقف صحة الرجوع على عمق العمل الذى يؤثر على الضمير ، وبالتالى لا نجد أساسا متينا فى إنسان قد تأثر بالعاطفة أو بالعقل دون تأثر الضمير .

إن طريق رجوع الإنسان إلى الله هو **بإطاعة الإنجيل** ، وأول انتفاضة لرجوعه إلى نفسه هى من خلال وخز ضميره الذى يصرخ فى داخله « لقد أخطأت » . فها هى مسئولية المخلوق الراجع الآن إلى نفسه ، مستيقظاً إحساسه بالخطيئة التى فعلها قدام خالقه . فيقول الضمير « ينبغى أن أكون كاملا — ينبغى أن أحب الله — ينبغى أن أكره الخطيئة — ولكننى خاطىء لا أحب الله بل أحب الخطيئة » .

قد تكون أيها القارىء مسيحياً وقد تُظهر أنك متمم لكل ما هو مطلوب منك من فروض وطقوس واصوام وصلوات ولكنك تظل فى نفس موقف آدم عندما اختبأ من الله هاربا من صوت ضميره ، إلى أن يصوب الروح القدس على ضميرك نور الكلمة الحية الفعالة ، كاشفا لك

حقيقة نفسك . ففى الرجوع الحقيقى ، عندما تقف عند أقدام الصليب ، تدرك أنك خاطىء ، فيوجه الروح القدس ايمانك إلى المسيح الذى مات بدلا عنك . عندئذ **ينبغي أن تفتح قلبك وتدعه يدخل** . ففى تلك اللحظة التى فيها تفتح قلبك للمسيح ، يقوم الروح القدس بمعجزة الولادة الثانية (بطرس الأولى ١:٢٣) ، فتصبح بحق خليقة جديدة (كورنثوس الثانية ٥:١٧) ، وتكون شريك الطبيعة الالهية (بطرس الثانية ١:٤) ، ومن خلال الروح القدس يسكن المسيح فى قلبك (رؤيا يوحنا ٣:٢٠) .

تغيير فجائى أم تدريجى ؟

إن طباع الشخص ، توازنه العاطفى ، بيئته ، ظروفه السابقة وطريقة حياته هى العوامل التى تحدد شكل وطريقة اتمام رجوعه إلى الله . فقد يرجع الشخص إلى الله بعد أزمة كبيرة فى حياته ، أو بعد سقوط كل القِيَمْ الموضوعة أمامه ، أو عندما يختبر خيبة أمل عظيمة تجعله يفقد كل احساس بالقوة ، أو بعد تجمد عواطف شخص حبيب تركزت فيه كل العاطفة فيختبر احساسا جارفا بالخسارة عندما يفقد الشىء الذى كان يعطى للحياة معناها . كلها أمور يسمح بها الله لكى ما يقتاد الشخص إليه .

فى تلك اللحظات المفجعة ، عندما يقف الإنسان مجردا من كل قوة عالمية ، أو عندما يذهب المحبوب إلى غير رجعة ، يكتشف الإنسان الحقيقة المؤلمة : إنه فى وحدة كاملة ورهيبة . فى تلك اللحظات ، يُسْقِط

الروح القدس العصابة التى كانت تحجب رؤية الحقيقة عن عينيه فيرى لأول مرة بوضوح ، ويعترف بأن الله هو النبع الدائم لكل قوة أو محبة حقيقية .

وكما رأينا أن الأزمات والتجارب قد تقود نوعية من الناس للرجوع إلى الله ، نرى أيضا على النقيض من ذلك اشخاصا يأتون إلى الله متأثرين بمحبته وصلاحه . فقد يكون الشخص فى أعلى درجات القوة والنجاح ، تسير أموره على أحسن ما يكون وهبات الله الوفيرة ممنوحة له بسخاء ، يأتى به صلاح الله إلى الاعتراف بأنه مدين له تعالى بالكل . وهكذا يقتاده ذلك الصلاح إلى التوبة وتدفعه المحبة إلى الرجوع إليه تعالى .

إن نقطة التحول أو التغيير قد تكون فجائية ومثيرة مثلما كان رجوع الوثنيين فى تسالونيكى إلى الله ، الذين حوّلوا عاطفتهم وايمانهم من الأوثان المنحوتة فى حجر وخشب إلى شخص الرب يسوع (تسالونيكى الأولى ١:٩) . كذلك رجوع الشاب شاول الطرسوسى ، الذى كان يضطهد كنيسة الله بافراط وبنشاط عظيمين ، لقد كان رجوعه إلى الله فريدا . فعندما ظهر له الرب فى الطريق ، قال للتو « يا رب ماذا تريد أن أفعل » (اعمال الرسل ٦:٩) ، وهكذا تحولت جسارته فى اضطهاد جماعة الله إلى إعلان للكنيسة فى طبيعتها السماوية بكل جراءة ووضوح ، كما بدأ للتو بعد رجوعه يكرز فى المجامع اليهودية بأن المسيح هو ابن الله (اعمال الرسل ٩) .

ولكن ليس كل رجوع إلى الله يأتى كبريق استنارة فجائية للنفس ،

فهنالك رجوع يتم بعد صراعات طويلة مع دوافع الإنسان الداخلية . هنالك أيضا رجوع يأتى عند لحظة معيّنة من فترة معاملات طويلة يقتنع بها الإنسان تدريجيا باحتياجه ، هذه المعاملات تأتى به إلى قبول واع للمسيح كمخلص شخصى والى تسليم الحياة له . هذه اللحظة هى الوقت الذى يعبر فيه الشخص الخط الفاصل بين الظلام والنور ، بين الموت والحياة . فيوجد اشخاص لا يستطيعون تذكر اليوم أو الساعة التى فيها رجعوا إلى الله ، ولكنهم يتأكدون من وجود هذه اللحظة فى حياتهم .

وإن اختلف شكل الرجوع إلى الله من شخص إلى شخص أو استغرق توقيته لحظات أو سنوات ، ينبغى لنقطة التحول أو التغيير أن تكون **واضحة** وينبغى لنقطة العبور أن تكون **ثابتة** حتى ما يصير الرجوع رجوعاً حقيقياً إلى الله .

تغيير كامل :

إن الرجوع الحقيقى إلى الله يعنى إذن بكل بساطة « **أن تتغير** » . إن ظل الشخص الراجع إلى الله يحب الأشياء التى كان يحبها قبلا ، تتغير أسباب هذه المحبة . وإن تخلّ عن هذه الأشياء فذلك لأن أموراً أخرى تحل مكانها . فقد ينسحب الشخص الراجع إلى الله من اصدقائه العالميين وذلك ليس لأنه يحتقرهم ولكن لأن شركة المؤمنين ذوى الفكر الواحد تجتذبه . فهو يحب الآن ما قد كان يكرهه ، ويكره ما قد كان يحبه . ويتغير قلبه من جهة الله ، فقد كان يحيا حياة عدم الاكتراث به تعالى ،

وكان فى خوف مستمر ورهبة وعداء له ، أما الآن فيجد نفسه فى حالة تبجيل كامل ، ثقة ، طاعة وتكريس له .

إن الشخص الذى رجع إلى الله يشكره تعالى باستمرار ، ويعتمد عليه كلية ، ويجد نفسه فى ولاء جديد له . فقد كان قبلا يحيا حياته لإشباع الجسد . كان المال أو الثقافة مثلا لها الأولوية والأهمية القصوى فى حياته ، أما الآن فيصبح البر ونقاوة القلب والحياة المسيحية هى الموضوعات التى تستأثر بكل اهتمامه ، وبذلك يصير إرضاء المسيح هو الشىء الوحيد الذى له الأهمية الحقيقية .

إن الرجوع الحقيقى إلى الله يعنى اذن تغييرا كاملا فى حياة شخص . إنه قطع كل علاقة مع الماضى وتحويل الظهر للعادات والطباع والحياة السالفة وصرف النظر عنها إلى الأبد ، ورفض كل شهوة أو مطمع وكل غرض كان يملك على القلب أو يسود على العواطف .

"تعالوا إلىَّ يا جميع المتعبين والثقيلى الأحمال وأنا أريحكم"

(متى ١١ : ٢٨) .

الباب الثالث

رجع إلى نفسه

فى مواجهة الحقيقة

نقرأ فى الكتاب المقدس مثلين أعطاهما الرب فى إصحاحين متتالين من الانجيل بحسب لوقا وهما الاصحاح الخامس عشر والسادس عشر . إنهما قصتان لشخصين أدركا حالتهما التعيسة بعيداً عن الله .

إن القصة الأولى تدور أحداثها على هذه الأرض بينما القصة الثانية فى مكان يسمى بالهاوية . تتكلم الأولى عن شخص حىّ يرزق بينما تتكلم الثانية عن شخص قد فارق الحياة . القصة الأولى تحكى رجوع شخص إلى الله فى الزمان الذى سينتهى يوماً ، أما الثانية فتدور فى الأبدية التى لا نهاية لها . فلنقرأهما يا عزيزى سوياً .

الانجيل بحسب لوقا ١٥ : ١١ — ٢٤

وقال انسان كان له ابنان . فقال أصغرهما لأبيه يا أبى أعطنى القسم الذى يصيبنى من المال . فقسم لهما معيشته . وبعد أيام ليست بكثيرة جمع الابن الأصغر كل شىء وسافر إلى كورة بعيدة وهناك بذر ماله بعيش مسرف . فلما أنفق كل شىء حدث جوع شديد فى تلك الكورة فابتدأ يحتاج .

الانجيل بحسب لوقا ١٦ : ١٩ — ٢٦

كان إنسان غنى وكان يلبس الارجوان والبزّ وهو يتنعم كل يوم مترفها . وكان مسكين اسمه لعازر الذى طرح عند بابه مضروبا بالقروح . ويشتهى أن يشبع من الفتات الساقط من مائدة الغنى . بل كانت الكلاب تأتى وتلحس قروحه . فمات المسكين وحملته الملائكة إلى حضن

فمضى والتصق بواحد من أهل تلك الكورة فأرسله إلى حقوله ليرعى خنازير . وكان يشتهى أن يملأ بطنه من الخرنوب الذى كانت الخنازير تأكله . فلم يعطه أحد . فرجع إلى نفسه وقال كم من أجير لأبى يفضل عنه الخبز **وأنا أهلك جوعا** . أقوم وأذهب إلى أبى وأقول له يا أبى أخطأت إلى السماء وقدامك . ولست مستحقا بعد أن أدعى لك ابنا . اجعلنى كأحد أجراك . فقام وجاء إلى أبيه . وإذ كان لم يزل بعيدا رآه أبوه فتحنن وركض ووقع على عنقه وقبّله . فقال له الابن يا أبى أخطأت إلى السماء وقدامك ولست مستحقا بعد أن أدعى لك ابنا . فقال الأب لعبيده اخرجوا الحلة الأولى وألبسوه واجعلوا خاتما فى يده وحذاء فى رجليه . وقدموا العجل المسمن واذبحوه فنأكل ونفرح . لأن ابنى هذا كان ميتاً فعاش وكان ضالاً فوجد .

ابراهيم . ومات الغنى ايضا ودفن . فرفع عينيه فى الهاوية وهو فى العذاب ورأى ابراهيم من بعيد ولعازر فى حضنه . فنادى وقال يا أبى ابراهيم ارحمنى وارسل لعازر ليبل طرف اصبعه بماء ويبرد لسانى **لأنى معذب فى هذا اللهيب** . فقال ابراهيم يا ابنى اذكر أنك استوفيت خيراتك فى حياتك وكذلك لعازر البلايا . والآن هو يتعزى وأنت تتعذب . وفوق هذا كله بيننا وبينكم هوة عظيمة قد اثبتت حتى إن الذين يريدون العبور من ههنا إليكم لا يقدرون ولا الذين من هناك يجتازون إلينا . فقال اسألك اذا يا أبت أن ترسله إلى بيت أبى . لأن لى خمسة إخوة . حتى يشهد لهم لكيلا يأتوا هم أيضا إلى موضع العذاب هذا . قال له ابراهيم عندهم موسى والأنبياء ليسمعوا منهم . فقال لا يا أبى ابراهيم . بل اذا مضى اليهم واحد من الأموات يتوبون . فقال له إن كانوا لا يسمعون من موسى والأنبياء ولا إن قام واحد من الأموات يصدقون .

فى هاتين القصتين أدرك كل من الشخصين حالته ، وهما فى ذلك متشابهان ، فقد قال الأول عندما شعر باحتياجه « أنا أهلك جوعا » (ع ١٧) وقال الثانى « إنى معذب فى هذا اللهيب » (ع ٢٤) شاعرا بحالته

التعيسة شعورا تاما . نعم يا عزيزى القارىء ، سيأتى الوقت الذى فيه يدرك كل إنسان حالته إن لم يكن فى هذا العالم ففى العالم الآخر ، وإن لم يكن الآن فسيكون فى الأبدية .

إن الفرق بين الابن الضال (لوقا ١٥) والرجل الغنى (لوقا ١٦) هو أن الأول قال « أقوم وأذهب إلى أبى» بينما كانت الفرصة متاحة لنوال الرحمة ، أما الثانى فقد أدرك حالته فى وقت لم يكن فى وسعه أن ينال حاجته ، بل لم يكن فى وسعه أن يحصل على نقطة ماء يبرد بها لسانه فى عذابه . لقد صرخ قائلا « ارحمنى » ولكنه قالها حينما كان باب الرحمة قد اغلق وفاتت فرصة رجوعه إلى الله .

والآن يا صديقى إنك ستواجه الحقيقة حتما إن لم يكن هنا على الأرض فستكون هناك فى الهاوية . هنا لا تزال الفرصة أمامك لتأخذ خطوتك نحو الله ، أما هناك فلن يبقى لك سوى البكاء وصرير الأسنان والندم على الفرصة التى كانت أمامك يوما وضاعت من بين يديك ولم تغتنمها .

إننا لن نقف كثيرا يا عزيزى عند قصة الرجل الغنى ، لأنه مازالت الفرصة أمامنا للرجوع إلى الله إن كنا مازلنا بعيدا عنه . أما قصة الابن الضال فسنتناولها باكثر تدقيق لأنها قصتنا جميعا إنها قصة الإنسان الذى ضل بعيدا عن خالقه ، قصة الابن الذى ترك بيت أبيه .

مبدأ البعد والعصيان

« اعطنى القسم الذى يصيبنى من المال » (عدد ١٢)

عندما عبر ذلك الابن بوابة البيت معطيا ظهره لأبيه ولبيت أبيه ، آخذا

القسم الذى يصيبه من المال ، إعتُبر خاطئا تماما كما كان عند رعايته للخنازير فى الكورة البعيدة . لقد اختار أن يمشى طريقه الخاص ، عاملا مشيئته الخاصة مستقلا عن أبيه ، غير عابىء بمشيئته . إن هذا هو جوهر الخطيئة التى رأيناها فى آدم رأس البشرية الساقطة ، عندما تصرف كأنه مخلوق بلا رب أو عب بلا سيد ، سالبا لكرامة الله كالخالق وممتهناً هيبته كالسيد ، متجاهلا وجوده ، منكرا لحقوقه . لذلك تعتبر الخطيئة تعدّيا (يوحنا الأولى ٣:٤) . **نعم لقد تعدى الابن على أبيه بتركه البيت** ، فسلك ذات الطريق الذى مضى فيه آدم ، فأنكر حقوق أبيه عليه وتجاهل وجوده ونبذ مشيئته .

بما أن ذلك التعدى هو وجه الجريمة فى الخطيئة ، لا فرق اذن بين خطيئة وخطيئة فى نظر الله . لقد أعطينا جميعنا ظهورنا لله وطلبنا مسراتنا الخاصة وطرقنا المستقلة عنه تعالى . فإن كانت خطايانا كثيرة أم قليلة بل وإن كانت خطيئة واحدة فقط (يعقوب ٢ : ١٠ ــ ١١) « لا فرق » كما يقول الكتاب « إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله » (رومية ٣:٢٢ ــ ٢٣) ، « كلنا كغنم ضللنا ، ملنا كل واحد إلى طريقه » (اشعياء ٥٣:٦) .

« اعطنى القسم الذى يصيبنى من المال » هو لسان حالك وحالى ، فنحن نحب أن نعمل ارادتنا الخاصة ، نحب أن نكون أحرارا من الله لعمل ما يحلو لنا . تأمل يا صديقى ذلك الابن وهو يحمل كل ماله فى بيت أبيه ، مسرعا نحو بوابة البيت ، واثقا فى نفسه ، فرحا باستقلاله . إن

بعده عن البيت يتيح له فرصة تنفيذ كل مخططاته ، وآماله ، والاستمتاع بكل ما يشتهيه بعيداً عن أية قيود أو رقابة . لقد كان قلبه فى حالة تحول وثورة وبُعد . كان ظهره فى مواجهة أبيه وبيت أبيه ، ووجهه مثبتا فى اتجاه البلدة البعيدة ، أما العزيمة فمثبتة لفعل الإرادة الذاتية . إننا جميعا ابناء قد انصرفنا كل واحد فى طريقه الخاص . لقد جمعنا مع ذلك الابن كل شىء لنا فى بيت أبينا وسافرنا إلى بلدة بعيدة ، وكأننا نقول له : لا نريد أن نراك ولا أن نسمع عنك « ابعد عنا وبمعرفة طرقك لا نسر » (ايوب ٢١ : ١٤) ، فنحن ذاهبون فى طريقنا الخاص .

إنه الطريق الذى سلكنا فيه جميعا ولكن شكرا لله ، لقد رجع البعض عن ذلك الطريق . فان كنت يا صديقى مازلت تمضى فى طريقك عاملا مشيئتك ، غير عابىء بمشيئة أبيك ، فقد اعطيت ظهرك لله ووجهك لمسراتك الخاصة . ولا رجوع لك إلا إذا أدركت ذلك واعترفت به .

ماذا ينتفع الإنسان ؟؟!

« لما انفق كل شىء حصل جوع شديد » (عدد ١٤) كم كان هذا الابن يبدو سعيدا وهو ينعم بماله مبذرا اياه بعيش مسرف (عدد ١٣) ، لقد ظن لأول وهلة أنه يستطيع أن يمتلك العالم والأصدقاء جميعا . إن الإنسان المبذر والمسرف هو شخص يعيش فوق موارده الطبيعية . إنه يبدو غنيا وسعيدا ولكن لوهلة من الزمن ، كذلك الخاطىء أيضا يبدو سعيدا وهو يتلف نفسه وهو يظل فى هذه السعادة الزائفة طالما هو يمتلك صحة وثراءاً وابتهاجاً .

ولكن دعنا يا صديقى نتأمل نصيب القلب عندما يذهب كل ذلك وتنتهى المسرات الطبيعية . ترى ماذا يفضل للقلب المسكين ؟ لقد استنفذ نفسه ولم يبق له سوى الجوع القارص ، الملل واليأس .

إننا نقرأ بذهول فى الصحف من حين لآخر خبر انتحار فنانة أو نجم مشهور ، فنتساءل متحيرين عن السبب الذى جعله يتخلص هكذا من حياته . فكم من مرة اطَّلعنا فى نفس هذه الصفحات على رصيده الكبير من المجد والشهرة ، من المال والجمال . وكم من مرة شاهدناه وقد رنت نغمات السعادة فى ضحكاته واتسمت خطواته بالثبات ، كما رأيناه وقد اصطحبت العظمة حركاته وامتلأت بالثقة تصريحاته . فبرغم كل ذلك لم يستطع العالم بكل مجده وغناه أن يملأ فراغ قلبه أو أن يشبع جوع نفسه . فما من سبب آخر جعله يلفظ الحياة سوى تلك المجاعة العظمى التى اجتاحت قلبه رغم كل مقومات السعادة المتاحة له ، فلم يحتمل قسوتها ولا وجد فى كل مجده وشهرته مايشبع الجوع الذى سيطر على قلبه ، فلم يجد حلا سوى إنهاء وجوده بيده . « فماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وأهلك نفسه أو خسرها ؟ » (لوقا ٩:٢٥) .

ترى يا صديقى ، لماذا يوجد هذا الكمّ الهائل من دور الملاهى التى تجتذب الناس ببريقها الخداع ووعودها الكاذبة ؟ ألا هو بسبب المجاعة التى تعمّ القلوب ؟ فالانسان يحاول جاهدا إشباع قلبه ، ولأنه يفضل التصرف بدون الله ، تبوء كل محاولاته بالفشل . فلو إننا سعداء بالحقيقة ما كان يلزمنا كل هذا العناء الذى نتكبده فى صنع ابتسامه أو انتزاع

ضحكة . قد يبدو اننا نواصل الحياة فى مرح ، ولكن كل صناعاتنا البارعة والمبتكره ، ما هى إلا اجتهادات لعمل عالم يخلو من الله تكون فيه المتعة والإثارة كافية لنسيانه تعالى .

ألم تشعر يوما يا عزيزى بالجوع الشديد يحاصر قلبك ؟ إن كان الأمر كذلك فثق بأن الشبع ليس فى المتعة أو الإثارة ، ليس ايضا فى المجد أو الشهرة ولا فى المال أو الجمال ، بل إنه فى من قال « أنا هو خبز الحياة . من يقبل إلى فلا يجوع » (يوحنا ٦ :٣٥) . لماذا يكون الله هو آخر من تفكر فيه ؟ وذلك بعد أن تكون قد تيقنت أن لا شيء آخر سيوفى مطلبك أو يسدد احتياجاتك أو يشبع جوع قلبك ؟

وراء آخـر :

« فمضى والتصق بواحد من أهل تلك الكورة » (عدد ١٥) ..
كاد الابن يهلك جوعا فى تلك البلدة البعيدة، وكان ذلك كفيل بأن يرجعه إلى أبيه. ولكن.. انظر ماذا فعل عندما استنفذ كل موارده.. فبدل أن يستدرج خطاه راجعا إلى أبيه ، نراه يمضى ويلتصق بواحد من أهل تلك البلدة البعيدة المملوكة للشيطان . « فارسله إلى حقوله ليرعى خنازير » (عدد ١٥) . لم يجد بذلك سدادا لاحتياجه بل اشتد به الجوع إلى الحدّ الذى فيه اشتهى أن يملأ بطنه من الخرنوب الذى كانت الخنازير تأكله . وهنا نقرأ الحقيقة التى يعلنها لنا الكتاب المقدس بكل وضوح : « **لم يعطه أحد** » (عدد ١٧) . ففى الكورة البعيدة لا يوجد

عطاء . إن الشيطان يبيع كل شيء وبثمن باهظ ، وذلك الثمن هو نفوسنا الغالية جدا . فإن أردت من يعطيك احتياجك ، ينبغي أن تأتي إلى الله . ولكن الإنسان أبعد الله عنه وناصبه العداء قاطعا كلّ رباط يربطه به تعالى . فما هي النتيجة الحتمية يا عزيزي ؟ لابدّ للقلب في عالم يخلو من الله أن يجري وراء غرض ويتخذ له معبودا . في حالة الابن الذي ضل ، مضى والتصق بواحد من أهل تلك البلدة . أما بالنسبة لنا ، فلا يشترط أن نحني ركبنا أمام شخص ما أو أمام قطعة من الخشب أو تمثال من نحاس كما يفعل الوثنيون لكي يقال عنا إننا عابدو وثن . فواحد يعبد الذهب وآخر يعبد الشرف وآخر يعبد القوة .. الخ . فأي شيء ينشغل به القلب ويخضع له هو « وثن » ، وتسليم القلب لأي أمر هو عبادة وثن .

إن « الطمع » مثلا هو خطيئة شائعة جدا قد سادت على قلوب كثيرين . فلنسمع ماذا يقول عنه الوحي ، إنه يسميه « عبادة أوثان » (كولوسي ٣:٥) . فما هو الطمع إلا اشتهاء الحصول على مال أو حب ما كنزناه من هذا المال . فسواء سعينا في جمعه أو أمسكنا عن صرفه فنحن في كلتا الحالتين « عابدو وثن » . فكم حولك يا عزيزي من الناس (ونرجو ألا تكون واحدا منهم) من يعبدون المال ويحنون رؤوسهم خشوعا وخضوعا أمام إله الذهب ؟!

كثيرون يسهل عليهم أن يقتنعوا إن « الطماع » هو الشخص البخيل الذي يبيت أمام خزانته يعدّ ويحسب ، ولذة عينيه في الأكوام المرصوصة

أمامه ، ولكنهم يحتجّون اذا وُصف « بالطمع » شخص ذو قدرة فى التجارة عنده غيرة وشوق شديد لجمع المال ، غرضه فى الدنيا أن يكون ذا ثروة طائلة ، فيجدّ ويكدّ ويثرى ، لكنه سريع فى العطاء ، كريم الضيافة ، مساعد للأعمال الخيرية ، بعيد عن البخل كل البعد . إن شغف الأول بالمال هو حبا فى المال نفسه ، أما الثانى فشغوف بالمال لأجل التمتع به . وكل منهما « طماع » وكلاهما « عابدوا وثن » . إن حبّ المكسب والميل إلى التكويم وتحصيل المال أمور ممدوحة فى « نظر الناس » ، ولكن الطمع فى صورته الحقيقية « رجس أمام الله » . فقد قال المسيح « انظروا وتحفظوا من الطمع » (لوقا ١٢:١٥) ، ووصف الرجل الغنى المتكل على أمواله بالغباء . كما قال أيضا «لايقدر خادم أن يخدم سيدين . لأنه إما أن يبغض الواحد ويحب الآخر أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر . لا تقدرون أن تخدموا الله والمال » (لوقا ١٦:١٣) .

فمن هو يا صديقى اذن معبودك الحقيقى الذى تخدمه وقد اتخذته لك إلها ؟ لمن خضوعك ؟ لمن تسليم قلبك ؟ لمن انحناء رأسك ؟ قال يشوع للشعب « اختاروا لأنفسكم اليوم من تعبدون .. وأما أنا وبيتى فنعبد الرب » (يشوع ٢٤:١٥) .

سلاسل معطّلة :

« ارسله إلى حقوله ليرعى خنازير » (عدد ١٥)

عندما التجأ الابن الضال إلى واحد من أهل الكورة البعيدة مستهدفا الشبع والحماية ، أرسله ذاك إلى حقوله . وقد انتظر الابن هناك أن يجد

الأمان فى ظل الرجل ، والشبع فى حقوله . ولكنه وجد نفسه وقد أصبح عبداً يعمل إرادة سيده القاسى الذى بخل عليه بالخرنوب التى كانت تأكله الخنازير . فعندما نلجأ للشيطان ، يرسلنا إلى حقوله ، وما أشهى منظر تلك الحقول للنفس الجائعة ، إنها تبدو حلوة المظهر ولكنها فى الحقيقة مرة المذاق .

هناك فى تلك الحقول يعرف الشيطان جيدا كيف يُحْكِمُ القيد على من استعبدهم . فهو يعرف كيف يزيّن لك العالم والشهوة ويجعلك تعشق السلاسل البراقة التى يقيدك بها . وبينما تكون منبهرا ببريقها ، يربطك بأكثر إحكام اليوم تلو الآخر . وحينما تكون أيها العزيز مستغرقا فى النوم تحت سلطانه ، سائرا بسهولة فى تياره تكون خدمته سهله وهادئة ، ولكن عندما يتدخل الله يتغير الحال تماما . فأنت لم تشعر قبلا بالسلاسل التى قيدك بها الشيطان ولم تسمعها لقد كانت بدون صوت لأنك كنت مستسلما لها . ولكن عندما يبدأ الروح القدس فى العمل تصبح تلك السلاسل ثقيلة ذات رنين مسموع . ونظرا لشدة إلتصاق هذه السلاسل بالقلب ، فإن الشخص المقيد لا يشعر بها إلى أن يتدخل الرب فى رحمته ، حينئذ يشعر بكل شيء .

أيها القارىء العزيز . هل هناك بعض السلاسل العديمة الصوت تحيط بقلبك ؟ ربما يكون الرب قد لمسها فى بعض الأحيان وسمعت رنينها لحظة فى ضميرك ، ولكنك رغم ذلك مازلت مقيداً بها . ربما خطيئة سريّة ، شيء محبب لقلبك تسمح به فى حياتك وإن كان خفيا عن أعين الناس ،

ولكنه موجود ورغم رائحته الكريهة فأنت تتمسك به . تحذر يا صديقى وانظر إلى الرب الذى أظهر هذا الشىء لك ، وكن متأكدا انه كما رأى الشىء الذى يستعبدك هكذا أيضا هو يستطيع أن يقطع كل القيود والسلاسل التى تربط قلبك .

إن سلسلة **التأجيل والتسويف** هى من ألمع السلاسل التى يعرف الشيطان كيف يقيد بها ضحاياه ، وقد قيد بها مرة فيلكس الوالى . لقد ارتعب هذا حينما سمع بولس الرسول يتكلم عن « البر والتعفف والدينونة » ولكنه ارجأ التوبة إلى وقت مناسب . فلا تسمح يا صديقى العزيز لسلسلة التأجيل هذه المرعبة أن تقيد نفسك . الجأ إلى الرب وعندئذ سيبرهن لك على حقيقة كلماته « إن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحرارا » (يوحنا ٨:٣٦) .

لقد كان الابن الضال فى عبوديته القاسية يتأمل شبع الخنازير التى كان يرعاها لسيده ، لكنه استفاق على شعوره « إنى أهلك جوعاً » (عدد ١٧) ، وشعوره بالهلاك جعله يفكر فى بيت أبيه . إنه نفس المكان الذى أراد يوما أن يتركه من كل قلبه . فاشتاق إلى صلاح ذلك البيت . لقد كان يعرف أن فى بيت الأب جوداً وصلاحاً وشبعاً حتى أن الأجرى أنفسهم كان يفضل عنهم الخبز . إن الشخص الذى يهلك جوعا هو دون غيره الذى يستطيع أن يقدر قيمة الخبز خير تقدير . فالله لا يعرفنا بنفسه عن طريق الفلسفة أو الحكمة ولكن عن طريق احتياجنا . إن كل شىء فى البلدة البعيدة كان يدفع الابن إلى الرجوع لأبيه . كذلك

كل نفس راجعة إلى الله يأتى بها الرب إلى إدراك حالتها البائسة بعيداً عنه ، وإلى الإحساس بصلاحه وجوده .

معامـلات اللـه :

« يذهب لأجل الضال حتى يجده » (لوقا ١٥ : ٤) .

لقد رأينا أن الإنسان الطبيعى المولود بالخطيئة والمستعبد لقيودها يعيش فى شهواته وشروره منفذاً لكل إرادة ذاتية بعيداً عن إرادة الله . ولكن الله لا يتركه فى ضلاله وبعده بل يعمل على إرجاعه و« يذهب لأجل الضال حتى يجده » . إن عمل الله فى الإنسان يستهدف إشعاره بنجاسته فى ذاته وأفعاله (يوحنا ٨ : ٩) ، اقناعه بمذنوبيته (متى ٢٧ : ٣ و ٤) ، استحقاقه العادل للعقوبة الإلهية الأبدية (لوقا ٢٣ : ٤١ ، ٤٢) واحتياجه الشديد لرحمة الله (لوقا ١٨ : ١٣) .

أنت يا صديقى بمحض اختيارك وحرية إرادتك إما أن تقبل عمل الله فيك وإما أن ترفضه . ففى حالة قبولك لهذا العمل الإلهى فيك فإنك تمقت نفسك لشرّها (حزقيال ٣٦ : ١٣) وتخشى الهلاك (تكوين ٣ : ١٠) ، ومن كل قلبك تشتاق لخلاص نفسك من نير الخطيئة ومن نار العذاب ، فتختبر حينئذ أن الله يستطيع أن يغيرك ويحولك إلى شخص طائع ويجعلك راغباً فى عمل إرادته عن طيب خاطر .

نحن لا نعلم كيف يعمل الله فينا لكى يحول ارادتنا لأن أعماله تعالى فينا سر لا نستطيع أن ندركه ، ولكن يكفينا أن نعرف أن الله يعمل

فينا فعلا اذ يعطينا أن نستفيق من فخ إبليس الذى اقتنصنا لإرادته (تيموثاوس الثانية ٢:٢٦) .

● فإن كنت مثلا يا عزيزى تحيا حياة فاجرة عاملا الخطيئة بكل بساطة وجرأة . حتى إنك لا تحاول كتمان أعمالك الشنيعة الآثمة ، يأتى الله اليك ويتعامل معك ، فتبدأ أنت الإنسان الجرىء الواثق من نفسك تختبر أن الخطيئة هى أفظع شىء فى حياتك وأنها أيضا أغلى عليك من أى شىء آخر . انك تستمر فى ارتكابها ولكن بشعور مختلف الآن بعد أن بدأ الله فى ايقاظك من غفوتك ، فقد جعلك تشعر بأن هذه الإرادة المندفعة فى ارتكاب الخطيئة والتى تأبى أن تستسلم ، إنما هى أفظع وأسوأ لعنة عليك .

● ربما كنت إنسانا محترما بين الناس ومعتدّاً بنفسك لأن لك قدراً وافيا من الأخلاقيات ولك مبادىء وقيما سامية . ربما كنت تفتخر أيضا باعتدالك الدينى فأنت لا تقاوم المشاعر الدينية والجو التأملى طالما هما لا يمنعانك من فعل إرادتك الخاصة لأنك تحب العالم وتتمسك بكل ما يعطيك إياه . فيأتى الله إليك ويتعامل معك محطما ارتياحك على برك الذاتى وعلى حب الناس لك بسبب اخلاقياتك وبكسر جميع ما تستند عليه فتجد نفسك فجأة خاوى اليدين **ثم تكتشف أنك تغرق فى روح العالم وعاداته وتهتم بما للجسد** ، فتدرك أنك بذلك تعادى الله (يعقوب ٤:٤ ، رومية ٨:٧) . وهكذا تصبح اهتماماتك الجسدية وشغفك بالعالميات هما لعنة حياتك .

ربما يا صديقى تكون رجلا متدينا تحيا حياة دينية متطرفة وعاطفية جدا ، وتظن أنك بخضوعك لمجموعة من الأوامر والنواهى والفروض قد وصلت إلى اتفاق مع الله ووجدت شكلا من الدين والأخلاق يرضى الله عنها . لذلك فأنت ترضى عن نفسك وتثق بها . فيبدأ الله فى التعامل معك **وسرعان ما تجد بحسب الطبيعة أنك لا تقدر على تنفيذ كل ما هو مطلوب . فتبدأ بالشعور بالذنب والتقصير وبالتالى المذنوبية لأنك لا تقدر أن تنفذ كل مطاليب الناموس . وهكذا يقودك الرب إلى شخصه فتعرف أن المسيحية الحقيقية ليست « تديّناً » بل ارتباط قلبى بشخص المسيح الذى أحبك ومات لأجلك على الصليب فاستحق منك أن تحبه وتحيا له وتجد نفسك بذلك عاملا إرادته .**

بذلك نرى أن الله وحده يعرف كيف يتعامل مع كل إنسان خاطىء حسب حالته واحتياجه ، وهو بطريقة لا نستطيع فهمها يخلق فى داخل الإنسان اقراراً بالحقيقة لا مفر منه ، وهى أنه فى صراع مع ارادة الله . ويرى ذلك الإنسان الخاطىء بوضوح مؤلم أنه ينفذ ارادته الخاصة وأنه بذلك يتعدى على إرادة الله الرؤوفة المحبة ، فيشعر تماماً بخطورة ما يفعله .

رجع إلى نفسه (لوقا ١٥:١٧) :

عمل الله فى قلب ذلك الابن الضال كاشفا له شناعة خطيئته ومقدار احتياجه اليه . كان من الممكن أن يرفض ذلك العمل ويبقى مستسلماً بكل قلبه لسلطان الخطيئة كما يفعل الكثيرون عندما يكشف لهم الله عن

بعدهم وتعذيبهم وشناعة خطيئتهم . لكننا نجد تغييراً كلياً عندما نقرأ عن قبول ذلك الابن لعمل الله فيه إذ أنه « رجع إلى نفسه » وكأنه استفاق من جنون كان يعتريه ، جنون يتناسب والمكان الذى يوجد به .

ترى ما سبب هذا التغيير ؟ لم يسببه البؤس لأن تغييراً مثل هذا يجب أن ينبع من قوة تفحص النفس . إن البؤس ترك ذلك الابن مكدودا ومتسولا ، ولكن أتى الوقت الذى فيه عمل الله فى قلبه وضميره فأخذ يدرك حقيقة نفسه . لقد تم هذا بفعل خدمة مباركة فى نظام النعمة الالهية ، وهى افتقاد روح الله الذى يقود الضال الى الشعور بحالته وإلى اكتشاف الله فى بركته وصلاحه . إن روح الله يبكت الناس (يوحنا ٨:١٦ — ١١) شاهدا لهم بالمسيح المخلص .

إن الشخص الذى استفاق من غفوته هو الذى قبل تبكيت روح الله له . وقد استفاق الإبن الضال على صلاح الله الذى أتى إلى قلبه فنسمعه يقول « كم من أجير لأبى يفضل عنه الخبز » (عدد ١٧) . فعندما يعمل روح الله فى النفس يوجد دائما شعوراً بالاحتياج . احتياج إلى القداسة ، إلى النعمة .. احتياج إلى الله ، فترى النفس البركة مع الله وتشتاق للرجوع إليه . فعندما ادرك الابن حقيقة حالته ، وقف ضميره فى حالة انتباه بينما كان قلبه فى حالة انجذاب نحو الله . إن كل ما يحتاجه الآن هو الرجوع إلى أبيه الذى كان قد أعطى له مرة الظهر وتركه وراءه ، ولكننا الآن نرى وجهه وقلبه وقد استدارا نحو الله . إن ذلك التغيير هو نتيجة معاملات الله مع النفس كى ما تخلق فيها الحاجة إلى القداسة

وإلى المحبة وكى ما تعطى ادراكا للنفس بهلاكها والنتيجة هى « أقوم وأذهب إلى أبى » .

بين الإقرار والقرار :

« أقوم وأذهب إلى أبى » (عدد ١٨) .

ربما يا صديقى بعد معاملات الله معك ، تسمع هذه العبارة تتردد فى أعماقك . ترى هل تمثل هذه الكلمات إقرارا بحالتك ، أم قرارا بالخروج من تلك الحالة ؟ إن هذه الكلمات إن لم تتلها خطوة ايجابية نحو التنفيذ لا تعتبر بأى حال قراراً ، بل هى مجرد إقرار أو اقتناع عقلى بوجوب الرجوع إلى الآب . فكم من الناس يقفون عند حد الاقتناع بأنهم تعساء محتاجون للرجوع إلى الله ، ولكن لأنهم لا يرغبون بالحقيقة هذا الرجوع ، يؤجلونه مماطلين فى اتخاذ الخطوة المطلوبة . أما بالنسبة لذلك الابن فقد أراد الرجوع من كل قلبه لذلك تحول إقراره بحالته إلى قرار بالرجوع . فنراه وقد قام فعلا « وجاء إلى أبيه » (عدد ٢٠) . إن الإرادة اذن هى التى تفصل بين الإقرار والقرار . فتنفيذ الابن لما أقرّ به هو خير دليل على تواجد الإرادة التى باقترانها مع الاقتناع العقلى والتأثر العاطفى تولد الرجوع الصحيح إلى الله الحى الحقيقى .

أتريد أن تبرأ ؟

إن الله بعمله فينا يأتى بنا كما رأينا إلى النقطة التى عندها ينبغى أن نتخذ قراراً شخصياً ، فهو لا يأتى بأحد إليه رغما عنه ، ولا يجبر أحداً

على طلب الخلاص بل ينبغى أن يكون ذلك بارادتنا الشخصية . لقد طلب العشار الرحمة وهو واقف من بعيد لا يشاء أن يرفع عينيه نحو السماء قائلاً « اللهم ارحمنى أنا الخاطىء » (لوقا ١٨:١٣) ، وطلبها أيضا الأعمى الجالس على الطريق صارخاً « يا يسوع ابن داوود ارحمنى » (لوقا ١٨:٣٨) . ولكى ما يقتاده الرب للافصاح عن إرادته الشخصية للخلاص سأله « ماذا تريد أن أفعل بك ؟ » فأجابه الأعمى « يا سيد (أريد) أن أبصر » (لوقا ١٨:٤١) . وكذلك سأل الرب أيضا الإنسان الذى به مرض منذ ثمان وثلاثين سنة قائلاً « أتريد أن تبرأ ؟ » (يوحنا ٥:٦) . إنه نفس السؤال الذى يوجهه الرب إليك الآن .

أيها القارىء العزيز :

أتريد أن تبرأ ؟ سؤال تبدو الإجابة عليه بديهية لأول وهلة . فستقول لى : من ذا الذى لا يريد أن يخلص ؟ ولكن رغم حاجة الإنسان الشديدة للخلاص يدهشنا أن الغالبية العظمى من الناس لا يُقبلون إلى المسيح كى ما يخلصهم ، وذلك لأن الإنسان لديه بالطبيعة ارتياب غريزى بالله ، وثقة طبيعية فى نفسه ، فهو يخاف من تسليم نفسه لله والسماح لإرادته تعالى أن تسيطر على حياته الباطنية والظاهرية . لاشك فى أن هذا هو السبب الأساسى العميق الكائن وراء تهرب الناس أو تجنبهم أو تأجيلهم اتخاذ قرار الرجوع إلى الله . ولكى ما يتجنبوا تسليم نفوسهم كلية لله ، يبذلون كل ما بوسعهم من جهود ومن تقدمات ولكن بشرط أن يظلوا هم المتصرفين فى حياتهم والممسكين بزمام أمورهم وليس الله .

إن الرجوع الحقيقى إلى الله هو قرار تتخذه بأنك ستنتهى من حياتك السابقة وستبدأ فى طلب الله بكل قلبك .. ولكن تحذر يا صديقى لأنه ينبغى أن تكون هذه الخطوة وهذا القرار نتيجة لعمل روح الله داخلك وليس نتيجة لظروف طارئة وعابرة أو انفعال وقتى . **إن القرار الذى تتخذه بعيداً عن عمل روح الله لا يثبت بل يسقط عند أول بادرة ريح تهب عليه .**

إن عمل روح الله فى داخلك هو الذى يجعلك تقنط من كل شىء كما رأينا ولاسيما إرادتك الشخصية . فقد كانت هذه الإرادة تقاوم الله دائما ، وكنت باستمرار تريد أن لا يفعل الله بك كما يشاء ويرغب . **إن الإرادة الصحيحة المتضمنة فى الرجوع الحقيقى هى لا تعنى أنك تريد أن تفعل شيئا بل بالأحرى انك تريد أن يُفعل بك شىء .** وذلك يعنى بالتالى أنك تسمح لله أن يتدخل فى حياتك بارادته ، تلك الارادة التى كنت حتى الآن تسعى لعدم تحقيقها فى حياتك .

إن الرجوع الحقيقى اذن ليس شيئاً آخر سوى أن أسمح لنفسى بأن تسمع صوت الله الذى كنت حتى الآن اتركه يمضى دون إصغاء ، بل كنت أسعى بواسطة تديّنى الخاص لأجعله غير مسموع . أما الآن « فأنا أريد » و « أنا أختار » أن اسمح لله بالكلام كما ابتدأ يكلمنى ضد إرادتى عندما كشف لى حقيقة مصارعتى مع إرادته وجعلنى أقر بها . إن الصلاة الصادقة البسيطة التى يقدمها التائب هى « تكلم يا رب فإن عبدك سامع » وهذا هو الموقف السليم الذى يقفه الخاطىء تجاه الله . وهكذا

أقر بأننى لست أسلك ضد إرادة الله فحسب بل إننى أيضا لا أعرف هذه الإرادة ، **ويجب أن أسمح لله** بأن يعلن إرادته لنفسى الآثمة المتمردة . **فأنا الآن أقر** بأن الله وحده يستطيع أن يزيح عدائى جانبا ويولد فى داخلى روحا طائعا مُريداً . وأنني الآن **أريد أن أسمع** كل ما يقوله تعالى عن حياتى السابقة **وأرغب فى معرفة** أفكاره وحكمه . ولن أعتمد بعد الآن على فكرى وحكمى ، أو على فكر الآخرين وحكمهم ، وأشتاق لمعرفة خططه تعالى بالنسبة لمستقبلى : الأشياء التى يريد أن ينزعها من حياتى ، والأشياء التى يريد أن يغرسها .

لقد اخترت الآن الحياة التى يوجهها الله ، وبذلك حكمت بالموت ، عمدا ، على الحياة التى توجهها الذات والتى عشتها حتى الآن .

يا عزيزى ، إن الله ينتظر أول خطوة صادقة تخطو بها نحوه ، وهو يريد أن يسمعك تقول « أقوم وأذهب إلى أبى » . **إن الإنسان البعيد عن الله ، مطالب فى كل زمان ومكان ، من باب الرحمة على أساس الذبيحة أن يتوب وأن يرجع إلى الله ، لأنه قادر على التوبة إن أرادها** . فكل خاطىء يضع فى قلبه أن يتوب عن خطاياه ويقبل المسيح ، سوف يرى أن روح الله يعضده ويساعده ويبعث إلى نفسه بكل رجاء وأمل . وإن لم يتب الخاطىء بعد كل محاولات روح الله معه لردّه عن طريق ضلاله وهدايته إلى التوبة والإيمان ، يتركه الله لما فضله لنفسه من غواية وشر وهلاك .

إن المسيح يقف على باب قلب كل إنسان قارعا ، والناس لهم أن

يقبلوه ولهم أن يرفضوه . فاذا قبله شخص يصبح للتو ابنا لله له حياة ابدية معه ، واذا رفضه آخر يظل فى خطاياه ويجلب على نفسه شقاءاً أبدياً . لأنه مادام الله قدم له نفسه ليخلصه من ذنب الخطيئة ويعتقه من عبوديتها ، يصبح إعراضه عنه وإستسلامه لها أمراً يفعله بمحض إرادته . لقد قال الرب « كم مرة أردت .. ولم تريدوا » (متى ٣٧:٢٣) . فلا عذر لخاطىء فى خطيئته فقد قال الرب « لو لم أكن قد جئت وكلمتهم لم تكن لهم خطيئة ، وأما الآن فليس لهم عذر فى خطيئتهم » (يوحنا ٢٢:١٥) .

فلا مسئولية على الله فى هلاك شخص خاطىء ، لأنه تعالى فعل كل شيء لإنقاذه وقد قال « ماذا يصنع أيضا لكرمى وأنا لم أصنعه له ؟ » (اشعياء ٣:٥ — ٤) .

فى طريق العودة :

« اخطأت إلى السماء وقدامك » (عدد ١٨) .

لاشكّ فى أن الابن الضال فى رجوعه إلى نفسه أخذ يفكر فى تصرفه الخاطىء عندما انطلق بعيدا عن ابيه تاركا البيت ، ذلك التصرف الذى به سقط . فما السقوط الا تغيير الفكر الصالح من جهة الله والتصرف طبقا للفكر الخاطىء . فعندما وضع تصرفه فى الميزان إعتبر تركه للبيت جريمة فى حق أبيه لأنه بهذا التصرف قد تعدّى عليه . وقاد ذلك قلبه للحزن على خطيئته ، حزن مبارك بحسب مشيئة الله فأنشأ « توبة لخلاص بلا ندامة » (٢كو ١٠:٧) .

إن التوبة ليست هى الحزن والندم على فعل الخطيئة فحسب ، بل وأيضا الانصراف الكلى عنها ، وذلك إكراما لله ومحبة فيه . فعندما رجع ذلك الابن إلى نفسه ، قرر أن يصلّحَ موقفه تجاه أبيه ، فقام ورجع إليه . لقد قال الوحى عن الخطاة إنهم يجب أن يتوبوا ويرجعوا إلى الله عاملين أعمالا تليق بالتوبة (أعمال الرسل ٢٦ : ٢٠) . فلم يكن ندم الإبن مجرد خوف من نتائج بعده بل لأنه حنَّ إلى صلاح أبيه وخير بيت أبيه ، فاقتاده لطف الله إلى التوبة (رومية ٢ : ٤) لذلك كانت توبته توبة حقيقية .

أما لو كان قد توقف تحت تأثير الدوافع إلى مجرد الندم دون الإيمان بنعمة الله المخلِّصة على أساس الذبيحة ، فإن ذلك كان كفيلا بأن يقوده إلى اليأس الذى ينتهى به إلى الانتحار كما فعل يهوذا الاسخريوطى (متى ٢٧ : ٢ — ٥) فإن شهادة الله هى « التوبة إلى الله والايمان الذى بربنا يسوع المسيح » (أعمال الرسل ٢٠ : ٢١) .

اقتنع الابن قلبيا بشهادة الضمير أنه بانصرافه عن أبيه وتغاضيه عن إرادته اعتبر نفسه مذنبا فى حقه . فعقد العزم على أن يعلن ذلك لأبيه بمجرد أن يراه قائلاً « اخطأت إلى السماء وقدامك » متبعا نهج داوود عندما اخطأ فقال لله « إليك وحدك أخطأت والشر قدام عينيك صنعت » (مزمور ٥١ : ٤) . نعم لقد تاب توبة حقيقية ، فما التوبة إلا تغيير الفكر الخاطىء تجاه الله الذى يقود إلى ادانة النفس واعمالها . فقد صلى سليمان للرب قائلا« فاذا ردوا إلى قلوبهم .. ورجعوا وتضرعوا اليك .. قائلين أخطأنا وعوجنا وأذنبنا ورجعوا إليك من كل قلوبهم ومن

كل أنفسهم .. فاسمع فى السماء صلاتهم وتضرعهم » (ملوك الأول ٨:٤٧ ــ ٥٠) فالخاطىء اذا رجع إلى الله تائباً ينال الغفران لجميع خطاياه عندما يأتى للمسيح بالايمان (كولوسى ٢:١٣) .

قــــلب الأب :

« وإذ كان لم يزل بعيدا رآه أبوه فتحنن وركض ووقع على عنقه وقبّله » (عدد ٢٠) .

إن غرض معاملات الله معى هى إحضارى إليه فى حالتى التى أنا عليها واكتشافى أنه يحبنى كما أنا . إن هذا هو ما اتعلمه فى المسيح « أن الله بيّن محبته لنا إذ ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا » (رومية ٥:٨) . إن أساس المسيحية هو أنه ليس علينا أن نقف أمام الله كقاضٍ ولذلك قابلنا هو بالنعمة . إنه لا يطلب منا براً نصنعه لأنفسنا ، لأنه هو الذى يصنعه ويقدّمه لنا كما صنع مع آدم وحواء عندما صنع لهما أقمصة جلدية وألبسهما (تكوين ٣:٢٠) ، فهو الذى يكسونا ثم يجنى بعد ذلك ثمر ذلك البر الذى أنعم به علينا .

إن أساس المسيحية الصحيحة هو البرّ المنعم به علينا من الله وليس ما يجده تعالى فينا من بر . فهو تبارك اسمه يقدم للخطاة خلاصا بالنعمة الخالصة لكى ما يريهم **أن محبته أعظم من خطاياهم** .

إن كل شىء فى مسلك الآب وفى كلماته يعلن لنا كمال مجانية النعمة ولا غرابة فى ذلك لأن الله هو « إله كل نعمة » ، وهو يعلن لنا ما فى

قلبه من نعمة واسعة فائضة . كيف كان. قلب ذلك الوالد يحنّ إلى ذاك الإبن ! وكيف يحنّ قلب الله إلى الخطاة المساكين ، ولو أنهم لا يدركون عن ذلك شيئا ! **إن النعمة تعمل من ذاتها لا يستدعى ظهورها أى استحقاق فيمن تتجه اليهم** . إن الله يجد الدافع لنعمته فى ذات قلبه . وكما حنّ قلب ذلك الآب على ذاك الابن ورحبّ بأول خطوة خطاها فى طريق الرجوع ، هكذا إيضا يحنّ قلب الله إلى الخاطىء ويرحب **بأضعف ميل يبدو منه نحو شخصه المبارك** .

ما أوسع النعمة التى تتضمنها هذه العبارة الواحدة « وإذ لم يزل بعيدا رآه أبوه » . إن الله يتطلع إلى اقتراب الخاطىء ليس أن الخاطىء الخائف يتطلع إلى نظرة شفقة من عين الله ، أو إلى فرصة مناسبة ليقترب فيها إلى الله ، بل الأمر على عكس ذلك تماما ، إذ أن الله هو الذى يتطلع إلى أول حركة تبدو فى قلب الخاطىء معلنة رغبته فى الرجوع .

ولكن تأمل معى يا عزيزى القارىء فى محبة الله للخطاة الراجعين ، فهو تبارك اسمه لم يقف عند رؤية الإبن من بعيد ولكنه « تحنن وركض ووقع على عنقه وقبله » . أيها العزيز دعنى أسألك هذا السؤال : ما الذى تظنه يملأ قلب الله من نحوك ؟ هل تملأه القسوة أم الاشفاق ؟ البغضة أم المحبة ؟ حقا إن الله لا يسرّ بالخطيئة ولكنه مع ذلك عظيم المحبة والإشفاق على المستعبدين للخطيئة وللشيطان . ماذا ترى فى ركض الآب ووقوعه على عنق إبنه وتقبيله إياه ؟ ألا ترى رغبة بل وشوق الله لأن يقبل ويسامح الخطاة التائبين ؟ ربما كان الابن نفسه يفكر بأن أباه سيعاقبه

أو على أقل تقدير سيؤنبه ، لكن يحكى لنا الكتاب أنه « ركض » أى أسرع ووقع على عنقه وقبّله . ما أجمله لقاءا بين الآب والإبن ، بين الله والخاطىء . يا ليتك يا عزيزى إن كنت لم ترجع بعد إلى الله ، أن تسبب فرحاً للسماء ولقلب الله عندما تقبل ترحيب الله بك .

البر الذى من الله :

« اخرجوا الحلة الأولى والبسوه » (عدد ٢٢) .

إن معاملات الله مع الشاب وصلت به إلى أن يعترف بحالته فقال « أخطأت إلى السماء وقدامك » ولكنه قالها وهو فى أحضان أبيه وهو يحس بحرارة القبلاتْ على عنقه فلم يستطع أن يكمل ما كان قد رتّبه من كلمات . فكيف كان يستطيع أن يقول له « اجعلنى كأحد أجراك ؟ » . هل كانت تلك القبلات هى طريقة استئجار الخدم ؟ كلا بكل تأكيد فقد كان الأب يعطى بحسب ما يمليه عليه قلبه الفائض بالحب . لقد كان استقباله هو استقبال أب لابنه المحبوب ، فلو كان الابن قد نطق بتلك الكلمات « اجعلنى كأحد أجراك » وهو فى حضن أبيه لكان ذلك بمثابة صفعة يصفعها للنعمة . آه .. لقد تقابل مع أبيه وعرف مركزه ومكانته .

والآن يا عزيزى ، هل تكتفى بأن يكون قبولك متوقفاً فقط على محبة الله لك وليس على ما تظن أنك تستحقه أنت ؟ هل ترضى بأن تتخلى عن كل شىء فى مقابل نعمته ؟

كان الابن لم يزل خارجا ، كان محتاجا إلى ما يجعله ملائما لبيت أبيه ، فمع أنَّ قبلة الأب أعلنت الغفران إلا أنها فى ذاتها لم تجعله أهلا للبيت . إن النعمة استطاعت أن تقبله فى ثياب مهلهلة ولكن كان عليها أيضا أن تعمل ما يجعله ملائما للوجود فى البيت . وهكذا ظهرت النعمة لكى ما يدخل البر . لقد أخرج الأب الحلة التى سيكسو بها الابن من كنزه الخاص حتى عندما يدخل الابن إلى البيت تكون الحلة شاهدة ومعلنة مسرة الآب فى وجوده بالبيت فى مركز الكرامة . فعند دخولنا البيت لا نخلع ثيابنا فقط بل نلبس أيضا المسيح .

إن المسيح لم يمت فقط من أجل خطايانا ولكن الله جعله ذبيحة خطيئة لأجلنا وأظهر الله عدله بقبول المسيح فى اسمى مكان اذ اجلسه عن يمينه فى السماء وبررنا نحن بالارتباط به فاصبحنا « بر الله فيه » (كورنثوس الثانية ٥ : ٢١) .

والآن يا عزيزى هل تصدق أن الله يقبلك كما أنت ؟ تعال اليه بكل مافيك من خطايا ، ادخل إلى بيته كما أنت فالحلة الأولى تنتظرك وهى البر الذى لى ولك بالمسيح يسوع .

ماذا تركت ؟ وماذا أخذت ؟

إن خلاصنا من الانحطاط الأدبى الذى كنا منغمسين وسالكين فيه قبلا يُعد رحمة عظمى من الله ، ولكننا يمكن أن نقول إنه لا فائدة كبرى من مجرد الرجوع عن الخطيئة والعالم والشيطان ، لأن الرجوع الحقيقى

إلى الله يتضمن اكثر من هذا . فالمسيحية ليست مجرد سلب أشياء كنت أتمتع بها بدون منح ما يعوض عنها . فان كنت قد أعطيت ظهرى للأهواء والملذات وقطعت علاقتى بالعالم ، ماذا يصبح نصيبى ؟ يقول الرسول « رجعتم إلى الله » (تسالونيكى الأولى ١:٩) . فما أجمله وما أكمله نصيباً ! فعوضا عن « الأوثان » قد صار لى « الله » ، وعوضا عن شهوة الجسد وتعظم المعيشة أصبح لى « الله » ، وعوضا عن الغنى والشرف والصيت أصبح لى « الله » ويا له من نصيب مبارك مجيد .

انظر يا عزيزى ماذا أخذ الابن الضال عندما رجع إلى أبيه ، عوضا عن الثياب البالية أخذ الحلة الأولى . وعوضا عن الخرنوب ، العجل المسمن . وعوضا عن عبودية الخدمة القاسية فى تلك الكورة البعيدة ، حرية الوجود فى بيت الآب وحول مائدته . من يستطيع أن يعبر عن الفرح والسرور الذى ملأ قلب ذلك الابن الشارد حينما ضمّه صدر الأب وانفتح له باب قلبه المحب ؟ فقد زال عنه جوعه وعريه وشقاؤه وانحطاطه الأدبى ونسى أكل الخرنوب والعبودية والبعد والأنانية ، زالت هذه جميعها إلى الأبد ، وها هو يسبح فى بحر النعمة ويتمتع بجوّ بيت أبيه الصافى . وفوق هذا كله يتأمل فيجد أن تلك الوليمة التى تحيط به ما هى إلا نتيجة رجوعه لأن قلب الله قد فرح برجوعه .

خاتمة :

رُبّ معترض يقول إن هذه القصة ليست واقعية بل هى مجرد مثل . ونحن نجيب على مثل هذا المعترض سائلين : وماذا يا صديقى يحكى لنا

هذا المثل ؟ ألا يمثل لنا حقيقة ثمينة ومهمة ألا وهى صورة الرجوع الصحيح فى نظر الله ؟ رجوع إلى حضن الأب ، رجوع إلى البيت ، رجوع إلى أهل البيت . وهو ليس رجوعا باعتراف فاتر ولغة ضعيفة بل إنه رجوع فعلى بقوة الروح القدس وتأثير كلمة الله .

إن المسيحى الحقيقى الذى رجع رجوعاً صحيحاً إلى الله قد تقرّب منه فعلا فمكتوب « فإن المسيح أيضا تألم مرة واحدة من أجل الخطايا ، البار من أجل الأثمة ، لكى يقرّبنا إلى الله » (بطرس الأولى ٣:١٦) . فالرب يسوع المسيح يقرّب كل الذين يؤمنون باسمه إلى حضرة الله فى قبوله التام . فيدخلون البيت باستحقاق دم يسوع واكراما لذلك الإسم الجليل العظيم .

إن الرجوع الحقيقى هو تقرب إلى الله ودخول حضرته تعالى لكى نفرح فيه ونتلذذ به ، لكى نسير معه ونجد كل ينابيعنا فيه ، لكى نغترف من بحر نعمته ونجد فيه سداد كل أعوازنا ، فتشبع نفوسنا وتستريح إلى الأبد .

الباب الرابع

الايمــان الحقيقــى

رأينا مما سبق أن الرجوع إلى الله لا يكون رجوعا صحيحا إلا إذا اقترن بالايمان بنعمة الله المخلصة على أساس الذبيحة . وقد تتساءل يا عزيزى عن ماهية هذا الايمان . ولك الحق فى هذا التساؤل لأن كلمة الايمان لكثرة تداولها بين الناس فقدت معناها الحقيقى عند الكثيرين واصبحت تطلق على مجرد الاعتراف بعقيدة ما . فكل من اعترف بوجود الله (مثلا) اصبح فى نظر الناس مؤمنا . لكن هذا ليس من الصواب فى شيء ، لأن من يؤمن بوجود الله يبغض الخطيئة ويأبى أن يعيش فيها . وبما أن كثيرين من الذين يعترفون بوجود الله ، يرتكبون الكثير من الخطايا غير حاسبين له تعالى حسابا ، اذا فهم ليسوا بمؤمنين . وإن قالوا إنهم مؤمنون ، فايمانهم هذا لا يكون حقيقيا . بل يكون **إيمانا اسميا** فحسب . وايمان مثل هذا لا قيمة له فى نظر الله ، حتى إن كان ذووه يصومون ويصلون ويتصدقون كثيرا . ولذلك يجب علينا جميعا أن نعرف ما هو الإيمان الحقيقى الذى يؤهلنا للتمتع بخلاص الله .

إن الإيمان الحقيقى هو العمل الروحى الذى به تتفتح النفس لله ، وتثق فى خلاصه الذى عمله فى المسيح ، ثقة تجعلها توقن كل اليقين انها امتلكت هذا الخلاص ، مع البركات المترتبة عليه إلى الأبد .

إن الإيمان الحقيقى هو إذن عودة الإنسان إلى حالة الطفولة التى تتجلى فيها النفس ببرائتها وبساطتها ، ثم تصديقه وهو فى هذه الحالة ما قام به المسيح من خلاص وما يعطيه من بركات ، تصديق الأطفال الذى لا يشوبه شكّ أو ريب . لذلك قال لنا المسيح « إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملكوت السموات » (متى ١٨:٣) .

إن الكتاب المقدس يعبّر عن إيمان الخلاص بـ « **قبول المسيح** » فقد كُتب « وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطانا أن يصيروا أولاد الله أى المؤمنون باسمه » (يوحنا ١:١٢) . وقبول المسيح لا يراد به فقط عقيدة الخلاص الذى عمله على الصليب ، بل أيضا قبول شخصه فى النفس قبولاً روحياً كاملاً .

ولتوضيح معنى قبول المسيح نقول : لنفرض أن رجلا فاضلا اراد أن يتبنى غلاما يتيما مسكينا . فهذا الغلام له أن يرفض ابوة الرجل أو يقبلها مرغما أو يقبلها برضى وسرور . فإن رفضها يظل فى فقره وجهله . وإن قبل أبوة الرجل مرغما يعش حياته منغّصا ومن ثم ربما يترك الرجل يوما ما . لكن اذا سلم أمره برضى وسرور لمن أراد أن يتبناه ، واثقاً أنه سيرعاه ويعتنى به وأنه لو عامله يوما بشدة أو قسوة فإن هذه المعاملة ستكون لخيره وفائدته ، ومن ثم يقبل أبوة الرجل دون قيد أو شرط ، فإنه سيتمتع بثروته كلّ التمتع كما سيستفيد من تهذيبه وتعليمه كلّ الفائدة . فمن يقبل المسيح بمحبة وسرور لكى يكون مخلصا لنفسه وحياة لها ، فانه يخلص من قصاص خطاياه ويصبح مبرراً أمام الله وفى

الوقت نفسه يتمتع بحياة المسيح السامية فى نفسه . أما من يرفض المسيح أو يقبله قبولا اسمياً أو عقلياً فحسب ، فإنه يحرم نفسه من الخلاص والتبرير كما يحرمها من حياة المسيح فيها وهذا هو الشقاء الأبدى بعينه .

- فهل قبلت المسيح قبولا حقيقيا أم قبولا شكليا ؟ فإن وقف ايمانك عند مجرد تصديق رسالة المسيح كحقيقة أعلنها الوحى ، يكون ايمانك ايمانا شكليا فحسب . فانك لا تستفيد شيئا منه . فالايمان الشكلى هو مثل اقتناع الأعمى بجمال الطبيعة . فانه وإن كان يعطيه صورة ذهنية عنه ، لكنه لا يهيء له السبيل للتمتع العملى به .
- هل اعتنقت أيها العزيز المسيحية لسمو مبادئها أو عظمة معجزاتها ؟ فإن سيمون الساحر اعتنق المسيحية لسبب من هذين السببين ، ومع ذلك لم يكن قلبه مستقيما أمام الله ، وكان فى مرارة المرّ ورباط الظلم (اع ٨:٩ — ٢٣) .
- هل تقوم أيها العزيز بأعمال صالحة وترانيم وصلاة ووعظ وإرشاد وتظن أنها دليل على وجود الايمان الحقيقى ؟ انظر وافحص نفسك لأنك من الجائز أن تقوم بهذه الأعمال بدافع الشفقة الطبيعية أو الغريزة الدينية أو الغيرة الطائفية فحسب ، وتكون ديانتك ديانة ذاتية بعيدة عن الله كل البعد . وقول المسيح لبعض الذين كانوا يتنبئون باسمه ويخرجون شياطين باسمه « إنى لا أعرفكم قط » (مت ٧:٢٣) خير دليل على هذه الحقيقة .

إن الإيمان الحقيقى هو عمل باطنى يُشغّل قوى الإنسان الروحية كلها . فالعقل الواعى يصدق المسيح ، والشعور يتأثر به ، والإرادة تقبله والعقل الباطن يستريح له ويفيد منه . وبذلك تولد النفس ولادة روحية تحصل بها على حياة جديدة تؤهلها لمعرفة الله والتوافق معه والسلوك حسب مشيئته . ولذلك فإن الإيمان الحقيقى عمل شخصى لا يستطيع إنسان قام به أن يعطيه لغيره على الإطلاق ، وهو السبيل الوحيد إلى الخلاص .

الشروط التى يجب توافرها فى المؤمن الحقيقى .

- **ينبغى يا صديقى أولاً أن تكون رغبتك صادقة فى الرجوع رجوعا حقيقيا إلى الله** . وهذه الرغبة تتطلب أن تكون كارها للخطية شاعراً بشناعتها وخطورتها ، وموقنا بأنك تستحق القصاص الأبدى بسببها . فلا تقل بفمك فقط « اللهم ارحمنى أنا الخاطىء » بل تقولها من أعماق قلبك شاعرا بشناعة خطيتك . وشعورك هذا يجب أن يكون مقرونا بتوبة حقيقية والا فلا فائدة من هذا الشعور على الاطلاق .

- **يجب أن تتجه إلى المسيح وتخصصه لنفسك** . عليك يا عزيزى ألا تقف عند الندم على الخطية والاقلاع عنها بل أن تتجه إلى المسيح **وتتخذه مخلصاً خاصاً لك** ، لأن خلاص المسيح ليس لفئة خاصة من الناس بل لكل الناس بدون استثناء . فقد قال الوحى عن المسيح إنه « ذاق بنعمة الله الموت لأجل كل واحد » (عب ٢:٩) وإنه كفارة لخطايانا . ليس لخطايانا فقط بل و (لخطايا) كل العالم أيضاً (١يو

(١يو ٢:٢) فلا تنظر إذن لمحبة الله كأنها عامة وليست خاصة بك ، بل اتجه إليه بكل مشاعرك وآمن أنه يحبك بصفة شخصية .

- **يجب أن تقبل المسيح فى نفسك** : أما وقد توافر لديك أن الله يحبك بصفة شخصية ، وأن المسيح مات نيابة عنك شخصيا ، مكفّرا عن كل خطاياك ، فعليك الا تكتفى بالاعتزاز بهذه الحقيقة والتحدث عنها ، بل أن تتجاوب مع المسيح وتقبله مخلصاً لنفسكِ وحياة لها . فيصبح الخلاص للتو ملكا لك .

فافتح قلبك اذن للمسيح أيها العزيز ، وأفسح المجال أمام الروح القدس ليعمل عمله العجيب فى حياتك وليقودك إلى الله الحىّ الحقيقى ويسوع المسيح ابنه ، فتجد فيه كل احتياجك . فيصبح انفصالك عن العالم انفصالا إلهيا صحيحا فتنقطع علاقتك معه انقطاعا بدون رجوع وتنفتح عينك شيئا فشيئا فترى الأمور كما هى . وتقضى فى كل شيء بحسب نور مقادس الله . وتقيس كل أمر على قياس صليب المسيح . وتزن كل الأفكار والأعمال بميزان كلمة الله ، فتحول ظهرك وتنسى ما هو وراء وتجعل غرضك الوحيد ذلك الشخص المبارك الذى تعلق مرة على خشبة اللعنة والعار لكى ينقذك ليس فقط من أهوال الجحيم والدينونة بل من العالم الحاضر الشرير .

الباب الخامس

« من له أذن للسمع فليسمع »

إن كلمة الله تعلمنا أن الإيمان يؤسس على شهادة الله . فيقول الكتاب « كيف يؤمنون بمن لم يسمعوا به ؟ » (رومية ١٠:١٤) . ففى تعاملنا اليومى نحن نقبل شهادة بعضنا البعض ونصدقها . ولكن يقول لنا الوحى إنه برغم تعاملنا بحرية وبثقة مع بعضنا البعض على أساس مبدأ الشهادة ، إلا أنه عندما يتوقف الأمر على تعاملنا مع الله فلسنا على استعداد أن نقبل شهادته تعالى . فيقول الوحى « إن كنا نقبل شهادة الناس فشهادة الله أعظم .. من لا يصدق الله فقد جعله كاذبا لأنه لم يؤمن بالشهادة التى شهد بها الله » (يوحنا الأولى ٥:٩ — ١٢) ، وأيضا يقول « من قبل شهادته فقد ختم أن الله صادق » (يوحنا ٣:٣٣) .

ويقول أيضاً « هذه هى الشهادة أن الله أعطانا حياة أبدية وهذه الحياة هى فى ابنه . من له الإبن فله الحياة ومن ليس له ابن الله[1] فليست له حياة » (يوحنا الأولى ٥:١١ — ١٢) . « الذى يؤمن به لا يدان والذى لا يؤمن قد دِينَ . لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد » (يوحنا ٣:١٨) .

(١) كلمة ابن فى اصطلاح « ابن الله » لا يراد بها المعنى الحرفى بل المعنى المجازى اذ يراد بها « الكائن الذى يعلن الله غير المنظور ، فقد قال الوحىّ « الله لم يره أحد قط الابن الوحيد الذى هو فى حضن الاب هو خبّر » (يوحنا ١:١٨) ، وبما أنه لا يعلن الله إلا الله وحده لأنه تعالى لا نظير له على الاطلاق لذلك فالكائن الذى يدعى « ابن الله » هو ذات الله معلنا وظاهرا . وقد تناولنا هذا الموضوع بالشرح الوافى فى كتاب بإسم « ما معنى المسيح ابن الله ؟ »

إن الإيمان اذن هو نتيجة لسماع الشهادة (رومية ١٠:٨ — ١٧) ، لذلك يكتب متى « **من له أذن للسمع فليسمع** » (متى ٩:١٣) ، أى التفتوا إلى كلمة الله .

ويقول مرقس « **انظروا ما تسمعون** » (مرقس ٤:٢٤) ، أى تأكدوا من صحة ما تسمعون واتبعوا الحق لأن كل ما تسمعونه ينفذ إلى ذهنكم وقلبكم . فهو بذور تزرع وستحمل ثماراً كأصلها .

ويحذر لوقا كاتبا « **انظروا كيف تسمعون** » (لوقا ٨:١٨) ، لأننا نعرف جيدا كيف نشاهد ولكننا لا نعرف كيف نسمع منصتين باهتمام . وبما أن « الايمان بالخبر والخبر بكلمة الله » (رومية ١٠:١٧) ، يصبح من الأهمية القصوى أن نتعلم كيف نسمع كلمة الله ، لأن وصولها إلى القلب هو عن طريق الأذن .

إن كلمة الله هى البذرة التى تحمل فى داخلها حياة لأنها حيّة وفعّالة (بطرس الأولى ١:٢٣) . وهذه البذرة ينبغى لها أن تُزرع فى تربة وأن تُحفظ وتتغذى لكى ما تأتى بثمر .. إن قلب الإنسان هو التربة التى تُزرع فيها البذرة ، وكما أن البذرة لها حياة وفعّالة كذلك أيضا التربة لها إمكانيات عظيمة . فيمكن لقطعة أرض أن تصير غابة أو تكون حديقة . فإن تُرك قلب الإنسان لنفسه تشوهه الخطيئة حتما ، ولكن إن استجاب لكلمة الله نستطيع أن نجد فيه ثمراً وجمالاً .

كما أن البذرة مخلوقة للتربة والتربة للبذرة ، كذلك أيضا كلمة الله مخلوقة لقلب الإنسان وقلب الإنسان مخلوق لها . فإن إلتقت البذار مع التربة ينبغى أن تُنبت وتُثمر .

إن الطريقة التى يستجيب بها القلب البشرى لزرع كلمة الله تختلف من شخص لآخر ، لذلك يعرض أمامنا الرب يسوع أربع أنواع من القلوب (متى ١٣: ١ — ٩) نضعها أمامك أيها القارىء العزيز ، عسى أن تتعرف على حالتك ، حتى إذا ما سمعت صوت الرب لا تقسِ قلبك (عبرانيين ٣: ١٥) .

(١) القلب القاسى :

فى مثل الزارع الذى خرج ليزرع بذوراً « سقط بعض على الطريق . فجاءت الطيور وأكلته » (متى ١٣: ٤) . إن التربة الصلبة تمثل الإنسان الذى لا يفهم كلمة الله فهما روحيا . إنه يسمع ولكنه لا يفهم ، وتظل البذرة على سطح هذه التربة ولا تغوص فيها أبداً ، فيراها إبليس وينقض عليها مثل الطائر ويخطفها فلا توجد .

إن الموافقة العقلية على مجموعة من التصريحات أو المعتقدات الدينية ليس هو الفهم الروحى للحق ، فإنّ زرع بذرة لا يعنى فهم الكلمة فقط بل الاستجابة لها أيضا . إن المشكلة ليست فى البذرة بل فى التربة ، فهى تربة صلبة أكثر مما ينبغى . لكن هل لقلب قاس وصلب أن يتغير ؟ نعم يمكن أن يُحرَث ويُمهَّد للزراعة كقول هوشع النبى « احرثوا لأنفسكم حرثا فإنه وقت لطلب الرب » (هوشع ١٠: ١٢) .

(٢) القلب السطحى :

عندما بذر الزارع بذوره سقط البعض الآخر على الأماكن المحجرة

حيث لم تكن له تربة كثيرة ، فنبت حالا إذ لم يكن له عمق أرضى . ولكن لما اشرقت الشمس احترق واذ لم يكن له أصل جفّ (متى ١٣: ٥ — ٦) .

سقطت البذار هنا على أرض محجرة لم تكن لها تربة كثيرة، فلم تستطع جذور البذره أن تتعمق فى الأرض ، ونتيجة لذلك نبت الزرع سريعا ولكن لم تتواجد الجذور لتغذيته بالماء . فعندما اشرقت الشمس أحترق ومات .

إن ذلك يمثل شخصا عاطفيا استمع إلى الكلمة ولكنه لم يقبلها حقيقة حتى ما تمدّ جذورها فى قلبه . إنها استجابة عاطفية ، ضحلة ومؤقتة . ولا يقصد الرب هنا أن الشخص خلص ثم فقد خلاصه ولكنه أراد أن يبيّن أنه لم ينل الخلاص أصلا . لقد كان اختباره عاطفيا سطحيا فقط . إن الشمس تمثل الاضطهادات . إنها مفيدة لأولاد الله لأنها تختبر ايمان الشخص وتثبت حقيقة إيمانه وتساعد على نموّه . ولكن لا يكون هذا صحيحا إلا إذا كان الشخص مولوداً من الله حقيقة وله جذور روحية . وكما أن الشمس تساعد الزرع على سحب المياه والغذاء من التربة ، كذلك أيضا الآلام والاضطهادات تساعد المؤمن على الثقة فى الرب واجتذاب موارده العظيمة . ولكن ينبغى أن تتواجد الجذور أولاً .

إن المشكلة فى القلب القاسى كانت كما رأينا قلة الفهم ، أما المشكلة فى القلب السطحى فهى قلة العمق ، وذلك يصل بنا إلى ثالث نوعية من نوعيات التربة وهى القلب المزدحم .

(٣) القلب المزدحم :

« وسقط آخر على الشوك . فطلع الشوك وخنقه » (متى ١٣ :٧) .
إن هذه التربة لم تكن نظيفة لأنها اختلطت ببذور أشواك ضارة . ولم تكن تلك الأشواك ظاهرة ولكنها كانت موجودة . إنها تنمو من ذاتها سواء أراد الزارع أو لم يرد . إنها تمثل مؤثرات العالم ، فيقول الرب عنها « همّ هذا العالم وغرور الغنى » وهى تخنق البذرة وتمنعها من الإثمار .

إن كان لك يا عزيزى قلب مثل هذا ، فأنت لم تتب توبة حقيقية ولم ترجع بالحقيقة عن خطاياك . نعم لقد استقبلت الكلمة لكنك تضع مشاكلك وهمومك عقبة تحول دون وصول الكلمة إلى قلبك . فربما كان الطعام أم اللباس وكيفية تسديد الديون مثلا ، كلها أعشابا ضارة تزاحم البذرة الجيدة فتخنقها .

رأينا فى النوعيات الثلاثة السابقة قلوبا لم ترجع إلى الله رجوعا حقيقيا ، لأن الدليل الوحيد للخلاص هو الإثمار . فقد قال الرب « من ثمارهم تعرفونهم » (متى ٧ :١٦) وبهذا نأتى إلى رابع نوعية وهى القلب المثمر .

(٤) القلب المثمر :

سقط البعض الآخر على الأرض الجيدة فأعطى ثمرا . بعض مئة وآخر ستين وآخر ثلاثين » (متى ١٣ :٨) .

عندما اعتبر الرب هذا القلب ارضا جيدة ، لم يقصد القول بأن قلب

الإنسان هو بالطبيعة جيد لأنه بالحقيقة ليس كذلك بل هو بالطبيعة خاطىء ، وهو بعيد عن نعمة الله لا يستطيع قبول كلمته ولا الإثمار لمجده .

إن قارنا هذا القلب بالنوعيات الثلاثة الأخرى ، نجد أنه الوحيد الذى أثمر . لذلك سمّاه الرب « الأرض الجيدة » لأنه يسمع الكلمة (عدد ٢٣) بخلاف القلب السطحى ، ويفهمها بخلاف القلب القاسى ثم يتمسك بها بخلاف القلب المزدحم .

والآن يا عزيزى ، أين أنت من هذه النوعيات الأربعة ؟

رجوع حقيقى أم إدّعاء ؟

تُرى هل اعترفت يوما بأنك رجعت إلى الله واظهرت أنك سائر فى طريق الإيمان ثم تمكن منك الفشل و لم تلبث طويلا حتى بردت محبتك لله واضمحلت قوتك وخارت عزيمتك ويئست نفسك ؟ إن ذلك يدّل على أن العمل لم يكن حقيقيا والرجوع لم يكن إلهياً ، وأنك فى الحقيقة لم ترجع فعلا إلى الله . قد يجوز أنك تبت إلى حين ، **ولكن الله نفسه لم تعرفه** . فلم تجد فيه كفايتك ونصيب قلبك ولا عرفت معنى الشركة معه ، ولا ذقت لذة الراحة والاكتفاء بالمسيح . لذلك لما تقدمت فى السير رجع قلبك الضعيف المسكين إلى العالم ، واشتقت إلى أباطيله ، فعدت وانغمست فى جهالاته . وبعدما هربت من نجاسات العالم ارتبكت ايضا فيها فانغلبت (بطرس الثانية ٢ : ٢٠) .

اسمع يا صديقى ، إن كانت هذه حالتك فلا ترتع ولا تفزع . إن الفرصة مازالت مفتوحة لرجوع حقيقى كامل وليس رجوعا عقليا أو عاطفيا فحسب . إن الكتاب يقول « هوذا **الآن** وقت مقبول . هوذا **الآن** يوم خلاص » (كورنثوس الثانية ٦:٢) .

إن توبتك مهما كانت صادقة ، لا خلاص مطلقا بغير الإيمان بالمخلص فمكتوب « توبوا وآمنوا بالانجيل » (مرقس ١٥:١) ، وأيضا « الذى لا يؤمن بالإبن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله » (يوحنا ٣٦:٣) .

"جَرِّبُوا أنفسكم هل أنتم فى الإيمان إمتحنوا أنفسكم ..."

(٢كورنثوس ١٣:٥).

الباب السادس

الكفــــارة

اساس قبولنا امام الله :

لقد رأينا أن الله يرحب برجوع الإنسان إليه بل وينتظره بشوق ويفرح عند رجوعه . أليس ذلك شيئا عجيبا إذ أنه تعالى هو نفسه الذى طرده من الجنة ووقّع عليه عقوبة الموت لأنه عصاه وتعدى عليه ؟ قد تقول إن الله رؤوف رحيم وفى ذلك أنت على حق . ولكن لا تنسى يا صديقى أن الله كامل كل الكمال . فعدالته وقداسته لا تقلان فى شيء عن رحمته ومحبته وذلك لكماله المطلق وتوافق صفاته معاً . فكما هو رؤوف ورحيم هو أيضا عادل وقدوس .

لقد قال لآدم يوم أخطأ « إنك تراب وإلى تراب تعود » (تكوين ١٩:٣) ، وبذلك أصبحت اجرة الخطيئة موتا (رومية ٢٣:٦) ، فكان لابد أن يموت آدم لأنه لا يمكن أن الله يتغاضى عن عدله وقداسته على حساب رحمته ورأفته .

فما هى إذن الوسيلة التى تؤهلنا للتمتع برحمة الله ورأفته دون إغفال مطالب عدالته وقداسته ؟ إن الفداء أو التعويض هو أساس قبولنا أمام الله والتمتع بغفرانه . فلابدّ من إيفاء مطالب عدالة الله وقداسته بواسطة كائن عوضا عنا . وإيفاء هذه المطالب يستلزم من هذا الكائن أن يقبل

على نفسه القصاص الذى نستحقه بسبب خطايانا **تنفيذاً لمطالب عدالة الله** وأن يهبنا أيضا طبيعة روحية تجعلنا أهلاً للتوافق مع الله فى صفاته الأدبية السامية **تنفيذا لمطالب قداسته** .

الكفارة فى الذبيحة :

عندما عصى آدم مات موتا أدبيا ولم ينفذ الله فيه وقتئذ حكم الموت الجسدى الذى أنذره به فى حالة العصيان ، بل انقذه من هذا الموت وأنقذه أيضا من الموت الأبدى الذى كان سيتعرض له فى العالم الآخر ، وذلك بتوقيع الموت على حيوانين وحرقهما بعد ذلك عوضا عنه وعن حواء . فمكتوب « صنع الرب الاله لآدم وامرأته أقمصه من جلد وألبسهما » (تكوين ٣:٢١) . وإن كانت هذه الذبيحة الحيوانية فى حد ذاتها غير كافية للفداء ، لكن لأنها كانت رمزاً إلى **ذبيحة عظمى** فى نظر الله ؛ لذلك اكتسبت وقتئذ شرعاً قوة الفداء ، وبذلك ستر الله عريهما أو بالحرى غطى نتائج خطيتهما . وهكذا يكون الله قد جعل الكفارة أساس الخلاص من قصاص الخطيئة ونتائجها السيئة التى يشار اليها بالعُرْى وقتئذ .

عدم كفاية الذبائح الحيوانية :

قال داوود النبى لله « لأنك لا تسر بذبيحة . وإلا فكنت أقدمها بمحرقة لا ترضى » (مزمور ٥١:٦) ويقول الرسول « لا يمكن أن دم ثيران وتيوس يرفع خطايا » (عبرانيين ١٠:٤) لأنه لا يمكن للبهائم التى

تباد أن تفدى الإنسان الخالد من الموت الأبدى . ولكن الله أمر بتقديمها حتى ما يدرك الإنسان نتائج الخطيئة بطريقة ملموسة . فقد صوّر الرب للإنسان الموت كى ما يشعر بشناعة الخطيئة وذلك بذبح حيوان وحرقه ، وبذلك يجعله يدرك أنه كان من المفروض أن يكون مكان ذلك الحيوان ولكن الله من باب العطف عليه سمح به كفارة عنه . وقد كانت هذه الذبائح الحيوانية رمزا لذبيحة عظمى ولشخص فريد كان فى فكر الله هو الفادى المنتظر .

شخص الفادى :

المميزات التى يجب توافرها فى الفادى :

- يجب أن يكون الفادى **إنسانا من نفس جنسنا** ، لكى ما يكون مساويا فى قيمته للشيء المطلوب فداؤه .
- يجب أن تكون **قيمته أكبر من كل الناس** مجتمعين لأنه يفدى ليس إنساناً واحداً بل كثيرين . لذلك يجب أن يكون انساناً غير عادى .
- يجب أن يكون **انسانا لم يعرف خطيئة** وغير واقع تحت القصَاص الأبدى نظيرنا . لأنه لو كان خاطئا لاحتاج هو نفسه لمن يكفر عنه .
- يجب ألا يكون مخلوقا ، فالمخلوق يُمْتلك لله وبالتالى لا يحق له تقديم نفسه لله .

ترى من يكون هذا الفادى العظيم القدر ، الخالى من الخطيئة ، غير المخلوق ، غير المحدود ؟ الا تتوق يا صديقى إلى معرفته ؟

إن يسوع المسيح هو الذى توافرت فيه جميع الشروط التى ذكرناها .
فهو لم يرث الخطيئة لأنه وُلِدَ بدون الأب المُورّث لها ، إذ كانت ولادته
من العذراء بقوة الروح القدس (لوقا ١ :٢٨) .

وقد عاش بقوته الذاتية دون خطيئة وكان يعيش حياة القداسة التى
لا تشوبها شائبة (يوحنا ٨ :٤٦) ولأنه كامل فنفسه تساوى نفوس البشر
جميعا إذ هم ناقصون بسبب خطاياهم .

- كان المسيح إنسانا حقيقيا فإن كان خالياً من الخطيئة إلا أن جسده كان جسداً مادياً مثل أجسادنا (عبرانيين ٢ :١٤ ، لوقا ٢٤ :٣٦ — ٣٩) .
- وكانت نفسه ملكاً له فقد قال عنها « ليس أحد يأخذها منى بل أضعها (أى أسلمها) أنا من ذاتى . لى سلطان أن أضعها ولى سلطان أن آخذها (استردها) أيضاً » (يوحنا ١٠ :١٧ ، ١٨) .
- وقد قال المسيح إن كل من رآه فقد رأى الآب (يوحنا ١٤ :١٠) . وإنه هو والآب واحد (يوحنا ١٧ :٢٢) . وقد أعلن المسيح فى اثناء وجوده على الأرض أنه كان وقتئذ فى السماء أيضا (يوحنا ٣ :١٣) .
- وقال المسيح أيضا عن شخصه إنه هو الحياة (يوحنا ١١ :٢٥) وإنه يُحيى من يشاء (يوحنا ٥ :٢١) .
- كما شهد عن أحقيته فى غفران الخطايا عندما قال للمفلوج « مغفورة لك خطاياك » (لوقا ٥ :٢٠) .

- كما شهد عن سلطانه فى إدخال التائبين إلى الفردوس عندما قال للص الذى التجأ اليه نادماً « اليوم تكون معى فى الفردوس » (لوقا ٢٣:٤٣) .

- كان له أيضا الحق فى قبول السجود . فقد سَجَدَ له المجوس (متى ٢:٢ — ١١) والأبرص (متى ٢:٨) ، والأعمى (يوحنا ٩:٣٨) ، ورئيس المجمع (مرقس ٥:٢٢) والكنعانية (متى ١٥:٢٥) وبطرس الرسول (لوقا ٥:٨) .. الخ ..

- إنه للمسيح أيضا سلطان أن يحاسب الناس ويقضى على الشيطان . فقد قال إنه متى جاء فى مجده يجتمع أمامه جميع الشعوب فيميز بعضهم عن البعض الآخر ويقيم الأبرار عن يمينه والأشرار عن يساره مورثاً الملك للفريق الأول وطارحاً فى النار الأبدية الفريق الثانى (متى ٢٥:٣١ — ٤٦) كما أعلن أن الشيطان سقط أمامه كما يسقط البرق من السماء (لوقا ١٠:١٨) .

إن الله إذن الذى لا يمكن رؤيته أو ادراكه فى ذاته ، أصبح من الميسور لنا أن نراه وندركه فى شخص يسوع المسيح . إنه الشخص الفريد الذى ظهر الله فيه للقيام بالفداء ..

سفك الدمّ :

إن لكلمة الدّم فى الكتاب المقدس مكاناً بارزاً اذ وردت فيه ٤٢٧

مرة . وهى كلها تقول إنه لا كفارة بدون الدم . فمكتوب « بدون سفك دم لاتحصل مغفرة » (عبرانيين ٩:٢٢) .

وعند دراستنا للعهد القديم يلفت نظرنا بشدة المكانة الهامة جداً التى للدم فى كل الممارسات والأوامر الإلهية . ففى سفر الخروج أصحاح ١٢ يقول « يأخذون من **الدم** ويجعلونه على القائمتين والعتبة العليا . ويكون **الدم علامة** على البيوت التى أنتم فيها **فأرى الدم وأعبر عنكم** » . لقد وجد اذن الشعب الحماية فى « الدم » .

وفى لاويين ١٦ نقرأ هذه العبارات التى أمر بها الرب هرون عند تقديمه الذبائح . « وقدام الغطاء ينضح سبع مرات **من الدم** بإصبعه » (عدد ١٤) ، ثم يذبح تيس الخطية الذى للشعب ويدخل **بدمه** إلى داخل الحجاب ويفعل **بدمه** كما فعل بدم الثور .. » (عدد ١٥) ، « يأخذ من **دم** الثور ومن **دم** التيس .. » (عدد ١٨) — ثم نقرأ فى لاويين ١٧ « لأن **الدم** يكفر عن النفس » (عدد ١١) .

وبالطبع لم تكن هذه الذبائح سوى ظل ورمز لذلك الحمل المعروف قبل تأسيس العالم والذى بدمه قد افتدينا (بطرس الأولى ١:١٨ — ٢٠) ، « حمل الله الذى يرفع خطية العالم » (يوحنا ١:٢٩) — فقد أرسل الله « فى ملء الزمان » ابنه الوحيد ليموت نيابة عنا . فقد سفك ذلك الابن الكريم دمه لفدائنا ودخل بدم نفسه مرة واحدة إلى الأقداس فوجد لنا فداءاً أبدياً (عبرانيين ٩:١١) . إن « دم يسوع المسيح إبنه يطهرنا من كل خطية » (يوحنا الأولى ١:٧) .

مسئوليتك :

لقد صنع الله لك يا عزيزى القارىء خلاصاً هذا مقداره ، لذلك يجب أن تنتبه إلى ما سمعت لئلا تفوته (عبرانيين ٢ : ١ ــ ٣) .

"متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذى بيسوع المسيح الذى قدمه الله كفارة بالايمان بدمه"
رومية ٣ : ٢٤، ٢٥).

الباب السابع

غضب الله

(لوقا ١٤ : ٢١ — ٢٤)

تتكلم المسيحية كثيراً عن محبة الله ورحمته وتعلن سخاء نعمته وطول أناته على الخطاة ، لذلك يتوارى عن أذهاننا غضبه ودينونته واحتمال انتهاء زمان نعمته . نعم إن لله غضبا ويوم دينونة عتيدة . فقد رتب الله عشاءا عظيماً ودفع ثمناً باهظا ودعا الإنسان للوليمة .

إن دعوة كهذه هي دعوة مُلزِمه وهي بمثابة أمر فمكتوب أن الله الآن يأمر جميع الناس في كل مكان أن يتوبوا وهو يقدّم لهم أيمانا برجل قد عيّنه ، يسوع المسيح المقام من الأموات (اعمال الرسل ١٧ : ٣٠ — ٣١) فإنْ رفض الإنسان دعوته تعالى يعصَ أمره ويعلن عدم إطاعة ارادته تعالى . وبذلك يمكث عليه غضب الله الذي سيواجهه في ذلك اليوم الذي فيه يدين المسكونة بالعدل (يوحنا ٣ : ٣٦ ، أعمال الرسل ١٧ : ٣١) .

لا تستخف ايها القارىء العزيز بدعوة الإنجيل ، لأن الرب يغلق الباب بعد فرصة النعمة المقدَّمة إليك الآن . فعندما أخبر العبد سيده برفض المدعوين للحضور إلى العشاء ، غضب رب البيت ثم قال « ليس واحد من أولئك الرجال المدعوين يذوق عشائي » (لوقا ١٤ : ٢٤) .

إن كلمة الله تعلن لنا بوضوح آيات صريحة تدل على قضاء الله العادل وغضبه المزمع أن ينسكب على الذين رفضوا الدعوة و لم يرجعوا إليه . إن صوت التحذير واضح إذ نجد الكلام عن قوم يمضون إلى عذاب أبدى وآخرين إلى حياة أبدية (متى ٢٥:٤٦) . والاعلان ايضا بأن البعض سيطرحون إلى الظلمة الخارجية حيث البكاء وصرير الأسنان إلى الأبد (متى ٨:١٢) ، وكون البعض سيفرحون فى عشاء العِرس (رؤ ١٩:٧) بينما البعض الآخر ستربط ارجلهم وايديهم ويطرحون خارجاً (متى ٢٢:١٣) . والإشارة أيضا إلى البعض الذين يدخلون العرس عندما يأتى العريس ، بينما البعض الآخر يغلق عليهم الباب إلى الأبد (متى ٢٥:١٠) ، وأيضا إن البعض يكونون مع الرب كل حين (تسالونيكى الأولى ٤:١٧) بينما الآخرون سيعاقبون بهلاك أبدى من وجه الرب (تسالونيكى الثانية ١:٩) .

إنها جميعا إعلانات لا يحب الناس سماعها ، ولا يصدقها الكثيرون بل يخدعون أنفسهم ويخدعون غيرهم بالقول إن الله رحيم رؤوف ، صالح ومحسن ، فكيف يسمح بمعاملة مخلوقاته بالدينونة الرهيبة ؟

يا صديقى هل يمكن أنْ يتساهل الله مع الشر والأشرار ، وهو تبارك اسمه قدوس كلّى القداسة وكامل كلّى الكمال ؟ إن نعمته كاملة كما أن قضاءه ايضا وعدله كاملان .

إن محبة الله العجيبة أعدت براً كاملاً وغفراناً كاملاً لكل خاطىء مذنب يشعر ويعترف أن لا برّ له فى ذاته وأنه مستوجب الموت والهلاك .

نعم ، لقد أعد فى محبته واسطة بها يكون باراً ويبرر كل خاطىء مسكين .

ولكن كيف يتم ذلك ؟ هل بالتجاوز عن الخطيئة أو بالتساهل فى مطالب العدل الالهى أو بتخفيض مقياس قداسة الله ؟ كلا . لقد انصبّ غضب الله على شخص يسوع المسيح على الصليب فوَفّى مطالب العدل الإلهى . وبذلك أعلن البرّ الذى يمنحه الله على أساس الإيمان بيسوع المسيح لجميع الذين يؤمنون . وتدفقت نعمته الغنية التى تُبررنا مجانا بواسطة الفداء بالمسيح يسوع الذى قدمه الله كفارة (رومية ٣:٢٢ — ٢٥) . فالذى يؤمن به لا يدان والذى لا يؤمن قد دين (يوحنا ٣:١٨) ويمكث عليه غضب الله (يوحنا ٣:٣٦) .

هل توجد كلمات تستطيع ان تصف آلام ويأس الذين لم يرجعوا إلى الله فى الوقت الذى كانت فيه نعمته وأناته تنتظر رجوعهم إليه ؟ إذ يوقنون بأنهم سيظلون إلى الأبد بعيدين عن أقلّ عطف أو راحة . ما أرهب تلك الكلمات « **هلاك أبدى** » « **نار أبدية** » ، « **عقاب أبدى** » .

إن الذى لم يرجع إلى الله له أن يسير فى طريقه ولكن يومه آت فمكتوب : « لأنه أقام **يوماً** هو فيه مزمع أن يدين المسكونة بالعدل » (أعمال الرسل ١٧:٣١) . هذا اليوم يوم غضب مظلم ، « غضب الله الذى يأتى على أبناء المعصية » (كولوسى ٣:٦) . الغضب الذى سيحاول أن يهرب منه ملوك الأرض والعظماء والأغنياء والأحرار والأقوياء وكل عبد وكل حر ، وذلك باخفاء انفسهم فى المغاير وفى

صخور الجبال وهم يقولون للجبال والصخور اسقطى علينا واخفينا عن وجه الجالس على العرش وعن **غضب الخروف** ، لأنه قد جاء يوم غضبه العظيم ومن يستطيع الوقوف ؟! (رؤيا ٦: ١٥ ـــ ١٧) .

"إن كنت حكيماً فأنت حكيم لنفسك وإن إستهزأت فأنت وحدك تتحمل"

(أمثال ٩ : ١٢) .

الفهـــرس

أيها القارىء العزيز :

هل رجعت الى الله الحى الحقيقى ؟

ما أخطر هذا السؤال فالاجابة عليه تحدد مصيرك الأبدى ..

هذا الكتاب

يساعدك على فهم ما هو الرجوع الصحيح الى الله الحى الحقيقى ، كما يوضح لك كيفية هذا الرجوع .

عنوان المراسلات

ص.ب ٢٠ حلمية الزيتون - القاهرة

